المطران جورج خضر

حديث الأحد

الله والقربى

الجزء الأول

منشورات النور

المطران جورج خضر

حديث الأحد

الله والقربى

منشورات النور
١٩٨٥

للمؤلف

انطاكية الجديد نفد	منشورات النور
فلسطين المستعادة نفد	منشورات النور
حديث الاحد نفد	منشورات النور
ثماني كلمات في الرعاية	منشورات النور
كلمات انجيلية	منشورات النور
تأملات في تجسد الكلمة طبعة ثانية	منشورات النور
الصوم طبعة ثانية	منشورات النور
هل الدين افيون للشعوب؟	منشورات النور
في سلسلة «تعرّف الى كنيستك»	منشورات النور
الارثوذكسية في الكراسي الشرقية	منشورات النور
الكنيسة والدولة	منشورات النور
الرؤية الارثوذكسية لله والانسان	منشورات النور
الفقر والغنى في الكتاب المقدس وعند الآباء	منشورات النور
في سلسلة «حديث الاحد»	منشورات النور
الله والقربى	منشورات النور
الدين والاديان	منشورات النور
الانسان في مصيره واخلاقه	منشورات النور
لبنان والعالم	منشورات النور
لو حكيت مسرى الطفولة	دار النهار
الايقونة	دار النهار

وقد اسهم في الكتب التالية الصادرة عن منشورات النور

الكنيسة والعالم

مدخل الى العقيدة المسيحية

الرؤية الارثوذكسية لوالدة الاله

الكتاب المقدس وحياتنا الشخصية

الأسقف في الكنيسة

آراء ارثوذكسية في الكنيسة

الجسد والعفة والحب

«حديث الاحد»

١ ـ الله والقربى
٢ ـ الدين والاديان
٣ ـ الانسان في مصيره واخلاقه
٤ ـ لبنان والعالم



فهرس

الفصل الثالث: أعياد ونجاوى

الفصل الرابع: اصول الحياة الروحية



مقدمة

«... الكلمات محطات للكلمة أو مطلات»
المطران جورج خضر
التواصل والوصال - جريدة النهار - الأحد ٨٤/٩/٩

« حديث الأحد» زاوية في جريدة لسان الحال ارتقبها العديد من اللبنانيين وغيرهم من القراء العرب في الستينات. ونشرنا سنة ١٩٦٩ بعضاً من فلسطينيّات هذه الزاوية في كتاب «فلسطين المستعادة»، وسنة ١٩٧٠ كتاباً باسم «حديث الأحد» ضمَّ مئة واثنتين وسبعين مقالة . ونفد الكتابان منذ سنوات.

مقالات «حديث الأحد» كانت وما زالت مناسبة يروي لنا فيها «وائل الراوي» عن الكلمة الذي أحب. يخبرنا فيها عن النور الذي أشرق له وتلمّسه في وجوه وظروف. الوجوه كانت متجلى لله والظروف عتبات لاكتشاف مشيئته حتى «يصير الله لنا إلهاً ونصير له شعباً».

في الستينات الغوابر قاد الهمُّ والوجدُ الأب جورج خضر، كاهن الميناء آنذاك، إلى مدّ الباب الملوكي في المدى الواسع . يعمل الكاهن الواعظ على زرع الله حياة في واقع الذين يعظهم وهكذا فعل «راوينا» عبر زاويته إذ سعى إلى زرع الله في واقعنا الشرقي عامة وفي

الراهن اللبناني بخاصة. اهتم في بناء انسان هذه البلاد في الحقّ الذي وحده يحرِّر. والحقّ الباني ازاحة للدجل والزيف والزيغان. ذاك كان رجاؤه والرجاء لا يخيب.

فقد تحلق الكثيرون حول تلك الزاوية في «لسان الحال» في امسيات الآحاد وتكشّف لهم وجه الله ساطعاً وبدَّد ذاك الوجهُ من كياناتهم ظلماتٍ وأصناماً.

وأقبل العديدون على الطبعة الأولى من «حديث الأحد» يستلهمونه مشيئة الله في وقائعهم. نهلوا منه العقيدة التي لا تنفصل عن الحياة والخُلق، عن التصرّف والسلوك، عن العقل ومحاولاته.

«حديث الأحد» محطات للكلمة ومطلات. والكلمة هو هو امس واليوم وإلى الأبد. لذا الكلمات التي يطل منها لا تَعتق. من أجل هذا نعيد طبعه اليوم في تبويب جديد يضم مقالات الطبعة الأولى من «فلسطين المستعادة» و«حديث الأحد» ومقالات اخرى لم تجمعها بعد دفتا كتاب وستوزَّع هذه المقالات على أربعة اجزاء: الله والقربى (الجزء الاول)، الدين والاديان (الجزء الثاني)، الانسان في مصيره وأخلاقه (الجزء الثالث)، لبنان والعالم (الجزء الرابع.)

وما أحوجنا اليوم إلى الله يأتي ليقوّم اعوجاج انساننا ومجتمعنا. به وحده نخلص وعبثاً نفتِّش عن الخلاص يأتينا من سواه.

ومنشورات النور فيما تقدِّم للقارىء العربي هذه الطبعة الجديدة من «حديث الأحد» ترجو أن تساهم بعملها هذا في تحويل أرضنا إلى أرض جديدة يحكم فيها الله.

الناشر

مقدمة

جورج خضر وجهُ حركة ، شبهُ ثورة ، قولٌ فعْل . فلما تردّى باسم « وائل الراوي » ، لم يخفَ عليّ شخصه ؛ فالرجل لم تصنعه جبته ، وإنما هو قد نسج كهنوته بسيرة متأزمةِ المعاناة لنفسه وللإنسان الآخر معاً . هذه السيرة هي ، على مستوى الإيمان واللاهوت وأشياءِ الثقافة ، ضربُ وفاء للأصل في ظمإ إلى الينبوع . أما عمرها ، فعمر المعرفة نعمةً وخطيئة ، أو يكاد يكون ؛ إذ هو على عمق امتداد من قبْل سقراط إلى تراث القدس ، فأنطاكية ، فرومة العهد الجديد ، إلى مسكونيّةِ شرق فغرب (دون الذهول عما يعتري المسكونيّة من جراح) .

ولقد أدرك جورج خضر أن سلالة الكلمة ينبغي لها العمل على أن يتصالح الإنسان هو ونفسه في ذاته وفي الآخَر ، فلا يبقى البشر في اصطراعِ تمزقٍ بعدما بلغ الآدميّ سنّ الرشد ، وهي التي فيها يلتقي لا الضدان ، بل القطبان المتكاملان غير المتجزئين : الروح والمادة في كيانٍ فرْد .

هذه التجزئة كابدناها عصوراً ، ولا سيما في الشرق . إلا أنّ وعينا

لها قد أيقظه الميلاد ، وتعهدته الكنيسة الأولى ، وذكّاه الآباء الشرقيون ومتصوفو الإسلام . ومع ذلك ، لبثنا على شفا القضية ، إذ اقتصرنا ، في أول الحال ، على الإيغال في ظواهر الأبعاد التي طوقت الوثن العتيق . أما اليوم، والفكر المؤمن يقارب الألف الميلاديّ الثاني، فقد أصبحنا نرى أن موقفنا ذاك – على ما به من روحِ شهادة وبطولة واستشهاد – موقفٌ لا تني تُجاوزه دواعي التطور أو نقومَ بعمل يصون حقوق المادة وما يمكث في معاني الأرض صوناً عريق الوشائج بمعطيات الله . فإذا تمكنا أن نؤلف الجوهر والوجود في سيرة معاً ، بنينا وحدة الناطق ، أو ، على الأقل ، شاركنا في بنائها ، فألفينا أن المهمة ، في عصرنا المدجّج ، هي أن نعتنق الجماعي الاجتماعي لسنا نقيد الإنسان في ذاته وفي شخصه وفي كل مميز له حرّ خلاّق .

إن المهمة لعلى قدر الرسالة : صنع السلام في حركة موضعيةِ المنطلق ، كونيّةِ المدى ، تهبّ حتى في أنأى الأصقاع حيث يخيّل أن الإنسان لم يكد يولَد بعد .

إن هذي المهمة لفي هموم جورج خضر كاهناً ورجل ثقافة والتزام.

فإذا استطعنا أن نبني وحدة الناطق ، بعد أجيالِ دأبٍ في الظاهر والباطن ، مسحنا الجرح الذي ما انفكّ ينزف منذ ما انفصل الإنسان عن النعمة لا لبادي علّة إلا لكي يجدّ في تحصيل النعمة بدل أن يتلقاها وكأنها الآية لم تقتضِ الكد ولا المجهود . ذلك بأن النعمة مفجّرة ثورة ومحرّكة عمل . فالله محبته ثورة . والكلمة تَجسُّدها ثورة . والعمل قداسته ثورة أو يعطله التحجر .

إن جورج خضر – ثورةٌ متواضعة وكاهناً يوزع نفسه بين رعيته وكتاباته – قد اختبر أن الكلمة إذا أداها الفعل ، أوفت على أعماق

تصل الروح بالمادة في دوامِ سعي إلى وحدة الناطق. فبات الأب خضر اجتراءً على زيف وسيفاً على استئثار. ولو لم ينصره إلا أمثاله من حملة الصلبان، لما تكاثر دعاته ومؤيدوه. لكن له، في الأفراد والجماهير، طاقات ترتقب من يستغلّ خيرها قبل أن تغويها الشياطين. أليس الأب خضر، هو وإخوانه ومريدوه، جوعاً إلى إصلاح في سبيل الروحيات والزمنيات؟

فكيف ارتفعتْ له هذي المنزلة قِبَل الناس؟ لعلّها نفاذه إلى الضمائر هو كالشعلة الإلهيّة التي كان الإغريق يقولون لها حماسة والتي هي، في الفنون والأخلاق، ثورة لا على أصالة النظام، بل على الانحراف بالنظام.

فمن أجل ذلك كله — ومن أجل غير ذلك أيضاً — اختار صاحبنا أن يعمل وأن يتأمل فأتى قصداً واحداً.

*

في معترك هذا الجو، وضع جورج خضر، أو وائل الراوي، أول مجموع من آثاره. إنه مجموع أسبوعيات عنوانها «حديث الأحد» نشرها في «لسان الحال»، في السنوات الخمس الأخيرة[1]، فأطلّ بها على قرائه ظهر كل سبت، فما زال يواصلها حتى شُغل عنها، — ولعلّ الشواغل إلى حين، — بمهمّاتِ رعايته لأبرشية جبل لبنان.

هذه الأسبوعيات، وقد غربلها مؤلفها النقّاد، لها مزايا التنوع في غير تصدع ولا فوضى. ولئن جُعلتْ، ههنا، بحسب وقت نشرها لا

---

١ - يضم هذا الكتاب بعض الأسبوعيات التي كتبت من سنة ١٩٦٢ إلى نهاية سنة ١٩٦٦.

بحسب موضوعها ، فإنها ، مع ذلك ، منسجمة الرؤيا والفكرة والنفس. فإنما الرجل هو هو ، أفي الله قال ، أم في الكنيسة الشرقية ، أم في البابا يوحنا الثالث والعشرين ، أم في صوم شهر رمضان ، أم في حركة التجدد والإصلاح ، أم في الندوة اللبنانية جامعة حرة تعبر عن وعينا ، أم في غير ذلك من موضوعات الساعة والشهر والسنة والجيل والدهر جميعاً .

ولو شاء القارىء أن يبوب هذا المجموع ، لتهيأ له أن يقسمه بضعة أقسام أهمها ، في نظري ، قسمان رئيسان متداخلان هما القسم الروحي والقسم الزمني . فـ « الحياة الروحية ، كما يقول الكاتب ، ليست غيبية ، لأن الله إله لنا ، إله معنا وفينا . فحديث الله أقرب حديث إلى الحياة التي نحيا » و « هذا السعي ليس اغتراباً عن الدنيا ، كما قلنا ، لكنه الوسيلة المثلى لتغيير الدنيا » (حديث الأحد ١١ آذار ١٩٦٢ ، ص١٧) . ثم إن هذا التداخل يجري على نحو ما تتداخل أسبوعيات وائل الراوي ، أي على ائتلافِ طريق وغاية . حتى السياسيات لا تنأى ، ههنا ، عن الروحيات : « حرية الجزائر حدثٌ روحي كبير . فقد اصطبغ هذا البلد المسلم العظيم بعمودية الدم وسمِّر على صليب الشهادة » (حديث الأحد ١ نيسان ١٩٦٢ ، ص١٩). أفليس المؤمن هو ، حيال السياسة والحضارة ، أقرب الناس إلى حقيقة الواقع ؟

أما المرأة ، فإن الأب خضر يراها رؤية « غير مؤلّهة ولا محقّرة » فتتكامل هي والرجل في سر الخلاص ، في « عمق المحبة » حتى يزول « مجتمع الدمى والمتسلطين » . ثم يرى الكاتب أن المحاولات التي تُفلسف الانفلات الجنسي إن هي إلا ضرب من ضروب القلق الوجودي الحديث . على أن المؤلف يرغب في أن تُهيأ لعلاقات الذكر والأنثى عناية علمية تستند إلى قيَم الأخلاق . فالجمال يمكنه أن يصحب العفة ، ولا سيما أنها تغنيه بجمال غير متوقَّع . ولا يخفى أن صون هذا الجمال المتنّى يسير

في خط وحدة الناطق ، وقد تقدمتِ الإشارة إليها .

ثم إن صون الجمال – الجمال الذي « ينقذ العالَم » – يسير في خط المعرفة التي لا تعني أن ثمرها محرَّم في كل شأن ، بل تعني أن المعرفة موهبة تمتد جذورها إلى ثقافة إنسانية قد شاركتْ في وضعها الأديان والعلوم . لكن الموهبة والثقافة ، مع ذلك ، ينبغي أن يحدّهما الشكل القومي : « علينا في لبنان ، على أساس الثقافة العالمية المشتركة ، أن نتبين المقومات في ثقافتنا » (حديث الأحد ٢ أيلول ١٩٦٢ ، ص ٣ ٤). والكاهن المؤلف ، إذ يتكلم على الثقافة ، لا يسعه إلا أن يتأمل في دلالتها الميتافيزيائية : « الثقافة الحقيقية الكبرى ستزيد طاقة الارتياب في قواعد الفلسفة المادية . الشعر والفن هما اليوم إطلالة الدنيا السوفياتية على حقيقة الله . نحن نعلم أن المسيح لا تجهله القصة السوفياتية ولا الشعر السوفياتي . كيف جاء على دروبه الخاصة إلى دنيا الثقافة ؟ هذا هو سرّ روسيا » (حديث الأحد ٢٣ آب ١٩٦٤ ، ص ٢١٩) . « لن تستطيع أميركا شيئاً من أجل روسيا على الصعيد الروحي . إن التعايش السلمي بينهما قيمته ، من منظار إنسانيّ ، أن يمهد الطريق لانطلاق التراث المسيحي من روسيا إلى فراغ الغرب » (حديث الأحد ٢١ تموز ١٩٦٣ ، ص ١٢٧) .

والمؤلف كثيراً ما كان قوله في روسية مقترناً بمعاني الفصح . فهو يؤمن بروسية وبشعبها ، ويؤمن بإيمانها على الأخص . وإلى ذلك فهو ، في كلامه على الفصح ، يؤمن بأن الماضي ليس أمراً حسماً ، وبأن الموت ليس حُكمَ إبرام ، وبأن الأرض الجديدة سوف تغدو ميراثاً للودعاء وموطناً لسلام الله في العالَم . وبديه أن المؤمن يأبى العنف ، « لأن المرء لا يستطيع أن يبني نظاماً إنسانياً بطرق وحشية » (حديث الأحد ١٣ أيار ١٩٦٢ ، ص ٢٠ ٤) .

وما دام السلام لا يصنعه العنف ، فإن السلام يصنعه الإيمان بالله والعملُ بروح الإيمان . هذا الإيمان يستوي به جورج خضر إلى مراقي التصوف الذي لا ينكر مملكة قيصر . إلا أن المسالمة شيء والمسايرة شيء. فصاحبنا تؤلمه المسايرة فيأبى أن يقول للناس ما يلبي رغائبهم ويشبع غرائزهم على حساب الحق والصدق . وصاحبنا يجهر أننا في خوف من المصارحة ، فيود لو نكره الكذب والمداهنة « كرهنا للطاعون »، ولا يفوته أن يردّهما إلى شهوة الربح – الربح كيفما كانت الأحوال . وصاحبنا يكرر أن الصدق يقترن بالإيمان وأن المؤمن يعتنق الله وقيَمه في الآخَرين . ثم هو يعلن أن الوطن عماده قيَم الخُلق والمعرفة معاً ، فضلاً عن أن الوطن بوتقة اجتماعية تصهر أهله كافة ليس تقضي على مميزات الأفراد والجماعات . فكل سوء استغلال للإنسان يصيّره شيئاً، بدل أن يجعله شخصاً ينهض بأعظم عبء في التاريخ : الحرية . كل إنسان لا بد منه للآخَر إيفاء بعهود التواصل وإنماء لأسباب الحوار .

والحوار ، عندنا في لبنان ، هو أن يتلاقى المسلم والمسيحي تلاقياً يولَد في البيت ، على ما يرجى ، فينتقل إلى المدرسة ، ثم يستمر في تحاب مبدِع ينشئ وطناً للجميع واحداً، ويعبد إلهاً سرمدياً واحداً، ويتشوف إلى حضارة واحدة على تنوع المذاهب وتشعب الاتجاهات . هذا التحاب ليس شأوه تغنياً غير منظور ، بل هو حضور و كشف وتعميق ترسخ لبنان في صميم كيانه روحاً واجتماعاً وثقافة وسياسة . فإنما « رعاية الصفاء والثقة بين الناس هي الشرط الأساسي لشيوع الحقيقة » (حديث الأحد ١٩ تموز ١٩٦٤، ص ٢١٣). لكن لبنان، مع ذلك ، « سيظل توتراً دائماً . هذا أمر لا يخيف . المهم أن لا نقطع الوتر.[١] الرتابة الفكرية

---

١ ـ « فلسطين المستعادة » للأب جورج خضر ، ص ١٧ .

لا تنشئ وطناً ولا أمة ، ولكن ينشئها الصراع البنّاء . ثم إن هذا الصراع يرفض الطائفية إذ يتخطاهـا إلى القيَم الروحية التي تبني « وجوداً رصيناً يحق له أن يشرف على مصير مبارك وأن ينشئ دولة تقوم على الكرامة » في « سبيل حياة لا تنقطع » (حديث الأحد ٢٩ أيار ١٩٦٦ ، ص ٣٦٥ و ٢١ آب ١٩٦٦ ، ص ٣٨١) .

*

... ذات ليلة ، لزهاء عشرين سنة مضت ، أرّقني السؤال التالي : « يسوع المسيح ، هذا الذي هزّ الكون ، لِمَ كدتُ لا أجد له تأثيراً في الأدب العربي اللسان ؟ » فوقفتُ جلّ حياتي أحاول الإجابة ما استطعت .

وإنه ليفرحني أن جورج خضر ، هو وكوكبة من رواد النور ، قد أقلقهم مثل الذي أرّقني فهبّوا يجيبون بالقول الفعلِ والكلمة الحياة .

حسبي — الآن في الأقل — أن لستُ وحدي على تفجر ذاك السؤال .

خليل رامز سركيس



حديث الأحد

الحياة الروحية همُّنا في هــذه الزاوية . والحياة الروحية هي ان نرى ما يكشف الله لنا خلال كلمته وخلال الحادثة ، ان نشهد لحــق الكلمة ، ان ندعها تنحت لنا مسلكاً . سنكتب هـــذه التأملات فيما نستقبل الاحد ، اليوم الذي خلق الله فيه النور وتمّ فيه ظفر المسيح . انه اليوم الاول للخليقة واليوم الاول لتجدد الخليقة وقد سماه كتّاب النصرانية الاقدمون اليوم الثامن لانه ، بعد انقضاء كل الازمنة المرموز اليها بالاسبوع ، افتتاح للأبدية .

في وضح هذه الحياة الجديدة التي يمدنا الله بها سنتبـيّن معالم الطريق ، طريق حياتنا الآن وهنا. فالحياة الروحية ليست غيبية لان الله إله لنا، إله معنا وفينا . هو الواقع الراهـــن الذي يفيض على كل الموجودات وجودها . فحديث الله أقرب حديث الى الحياة التي نحيا. الله ألصق بنا من كل حادثـــة ، من كل انسان ، من أنفسنا . والحديث عنه ليس بالضرورة حديثاً عن صفاته وأعماله ولكنه أدراك لمــا حولنا وفينا ، لظروفنا ومشاكلنا ، لآلامنا على ضوء تعليمه ونفحاته .

حقيقة الله فعل وخلاص ومتى صارت هكذا في لبنان حلّ اليقين

والاخلاص محل الزيف ، وانتقلنا من ديانة القشور والجدران الطائفية ، من الرموز الحزبية وجفاف الاشكال الى ديانة الحب التي نطلب فيها المخلوق كما نطلب الخالق ، بل نلتمس فيها الخالق في المخلوق . ما يهمّنا في هذه الزاوية هي حقيقة الله في الصميم لانها هي شفاء البشرية المعذبة . وقد يتعاطى المرء دينه وليس له في نفسه شيء من هذه الحقيقة لانه لا ينفذ الى قلب التعبد فتحجب عنه العبادات نفسُها أحياناً ربه ويظل غريق ممارسات دينية لا سعي فيها الى وجه الله الصبوح .

هذا السعي ليس اغتراباً عن الدنيا كما قلنا لكنه الوسيلة المثلى لتغيير الدنيا. هذا « الدين – الحب » ليس تخديراً للشعوب بل الهام للشعوب ولا هو اقتتال على الارض لربح السماء ولكنه ربح للأرض تُعطى للجميع بسبب أوامر السماء. هذه المواجهة بين الارض والسماء اذا تمت في القلوب الصافية الحمِسة وفي الاذهان المقدامة كفيلة بأن تعطي للأرض كل خيرات السماء وبأن ترفع الى السماء كل جهود الارض .

الاحد ١١ آذار ١٩٦٢

الفصل الاول

الله والقربى



في العصر هذا

قمة الايمان ، ضمانته – اذا صح التعبير – ان ننزه الله عن كل صفة من صفات الموجودات . فليس مثل الله شيء . الايمان الا نستعمل الله والا ننسب اليه ما نجهل، فلا نسميه اذا تكلمنا عن المجهول او ما نعجز عنه لاننا اذا اكتشفنا ما كنا نجهل وما كنا نعتبره سراً، فايماننا يتصدع ونظن ان فكرة الله تتقهقر بتقدم المعرفة . حتى يسلم ايماننا ينبغي ان نبلغ احدى قممه بألا نربط فكرة الله بالمجهول او بما كنا عنه عاجزين . ان تشويهنا لفكرة الله لا يلغي وجوده . ان جنون العظمة عند مَن ظن نفسه نابليون لا ينقص شيئاً من وجود نابليون .

لما قال الروس انهم لم يجدوا الله في الفضاء كانوا على خطأ لانهم فتشوا عنه حيث لا يجوز لهم ان يفتشوا . ليس الله في مكان ، انه في قلوب محبيه ولا يضيق ملكوته اذا اتسعت افاق الانسان. كان الانسان قزماً على الصعيد الروحي لما ظن ان لله عرشاً فوق القبة الزرقاء . فلما اكتسب الانفتاح الروحي تبين خطأ تصورات سابقة عن ربه ولم ينقص من كيان الله شيء .

كذلك كان من الخطأ ان نربط الله بالمرض وقد نهى الانجيل ، غير

مرة ، ان نفسر المرض بخطيئة المريض ،ونهت التوراة عن الاعتقاد بأن الآباء يأكلون الحصرم والأولاد يضرسون . يبتغي هؤلاء اقرار الطب على حساب تعليل سحري ظاهره ديني.هذا لا يعني ان الصحة والمرض خاليان من رسالة الهية الينا . ولكن لا نربطن الله بالجـــوع والاوبئة والجهل لئلا يذهب اذا هي ذهبت . الله أرفع من كل موجود وأعلىمن كل وصف . فاذا أدركناه كذلك ، والدين هكذا رآه ، فأنه يحضر في كل علم وكل حضارة . اذا الانسان لم يَدَّعِ فأنه قادر ان يعاين الله في كل حق وكل بهاء ، في ارتداده عن ضلاله اذا اشتد الضلال ، في نعـيم مفقود ووجه ينفرج . اذا ازداد اقتحامنا للمجهـول يوماً بعد يوم ، وحلّلْنا كل خبايا النفس البشرية وبلغنا أقصى العدالة في مجتمع منسجم فالنفوس الطيبة الرقيقة الخاشعة ستظل لنا كاشفة الله .

الاحد ٣ حزيران ١٩٦٢

الفردوس المفقود

يتوق الانسان الى خير مفقود وحقيقة محجوبة وجمال لم يكن ذابلاً. انه لا يكفيه ما جنته يداه او عقله او حواه قلبه لانه يريد ان يمتدّ الى حيث لا حدود. ومتعة السماء في هذا أنها بدء لا نهاية، حركة حب وازدياد معرفة لوجه الله الكريم. النعيم لا سكون فيه ولا ارتواء.

نحن نعاني زماناً يفكّنا دوماً عن جميل ماضينا وعن الهنيهات الكثيفة التي كانت تضم المعنى الى المعنى والحقَ الى الحق في مجرى الوقت الضائع. نحسّ أنفسنا دائماً متكسرين وان ذاتنا كانت، في أويقات حلوة، وحدةً متلاحمة واثبة الى الضوء. ولعل من أعمق المشاعر البشرية الشعور بالهزالة التي نوجَد فيها. الضعف، العزلة والسقوط، هذه التي تبعث فينا الحنين، غير كافية لتفسير الحنين. فلماذا لا يرتضي الانسان الضعف حالة له؟ لماذا يريد الخروج من السقوط الى الصمود ومن التذري الى وحدة يجمع فيها قواه؟ هذا شعور باطني جماعي، كما يسميه يونغ، يقول له ان السلام فيه سابق للاضطراب وان الشر تسرّب خلسة. هذا الشعور المتأصل فينا يشرح لنا لماذا نحن غير راضين عميقاً عن التدهور وراغبون في اقتحام السماوات.

شوقنا الى الباقيات فيما نعاني الفانيات أيمكن ألا يكون شيء ليرويه ؟ هل يعطش المرء وليس في الدنيا نقطة ماء ؟ توق الانسانية جمعاء مذ وجدت هل ينتهي بحماقة السعي وراء السراب ؟ المؤمن يجيب عن هذا السؤال بقوله ان كل عطش عطشٌ الى الله وان الله معنى الاشياء وانصباب الاشواق. فالفن الذي تمخضت فيه البشرية إنْ هو الا محاولة لتهجئة جماله . هذا الفن نعرف انه يقودنا الى عتبة الجنة . والا فماذا يجمع بين مآثر الفن ؟ لا يعرف الانسان في صنعه الكلمة او اللون او النغم انه يسعى الى ربه ولكنه الحنين . الانسان يحب ما يخلق لانه في رتابة عيشه يذهب ويضمحل ، وفيما يبدع يستبقي ما يقوى على الدهر والهزالة . يحس ان الجمال في نفسه ينجيه من الخسة ان هو خلّده .

الايمان يقول ان سبب الحنين فردوس فقدناه وما بعد الحنين فردوساً يستعاد .

الاحد ١٢ آب ١٩٦٢

الإله المتصل

قال باسكال : « لا إله الفلاسفة والعلماء بـــل إله ابراهيم واسحق ويعقوب » . وأراد بذلك أن الله لا يهمني من أمره أنه علة العلل ، كما صوره الفلاسفة . ولا يهمني منه أنه قابع في سماوات بعيدة بل هو ذاك الذي يكلمني كما كلـّم ابراهيم ويواجهني كما واجه اسحق .

تقول الكثرة : أنا اؤمن أن لهذه الدنيا خالقاً . هذه فلسفة فقط . والفلسفة صحيحة في رتبتها وحيزها . ولكن الايمـــان حياة ُنعطاها ونختبرها . وليس فقط اقراراً نظرياً بحقيقة باردة. هذا الاله الفلسفي، ما دام إله الكون فقط، جامد جمود الهندسة. ينبغي أن يتحرك ليصبح إلهي أنا. ينبغي ان يحبّ وان ينعطف ليتصلّ بي ولأتصل أنا به . الاله العقلي يصبح الاله الحي اذا خاطبني وخاطبته .

إله ابراهيم هو الذي يداخل ابراهيم ويكشف له نفسه ويُقيم بينه وبين مَن يخاطب حواراً .

الاله الذي يقول عن ذاته « أنا » ويقول لي « أنت » ، الاله الذي يقرّ بوجودي إزاء وجوده ويتوسل حبّي لقاء حبّه هو الذي أعبدهنا،

بالضبط، يبدأ الايمان اذا تجاوزت إله الفلاسفة العقلانيين وسجدت. هذا الاله الديني يطلب الطاعة جواباً عن محبته وتعبيراً عن محبتنا .

فليس من الايمان ان ألازم بيتي وان اتأمّل في وجود الله كما اتأمل في النجوم. فليس الله موضوع حكي. ليس جزءاً من تفسير مرضٍ للوجود. هذا أستطيع ان أكوِّن عنه فكرة ولكن فكرة الله غير إله ابراهيم واسحق ويعقوب . انها مفهوم ككل المفاهيم. وقد يكون مفهومي هذا عن الله عائقاً دون الوصول اليه واذن صنماً معبوداً .

بواسطة العقل المجرّد أدرك هذا الاله الهندسي البارد . وأمّا الاله المنعم، الذي يواصلني وأواصله، فيلتقطه حبي في لحظة من لحظات فضله. واذا بوجوده يكتنف وجودي في حرارة لا توَصف .

إله الفلاسفة يُستدلّ عليه وأما إله ابراهيم فيوصل اليه والثغرة بينهما باقية الى الأبد. ولا ينتقل المرء من مفهوم الى معبود دون إشراق يقذفه الله في القلب . ولكنّ القلب ، بهذا المعنى الإنساني، هو الكيان بالذات وهو أشمل وأعمق وأقرب الى المعرفة من النظر العقلي المنكفىء. ما هو أمتن من الاستدلال بالعقل ، وهو في الانسان جزء، الاستدلال بالانسان كله . هذه خبرة الوصول . الانسان في سرّه وجذوره كلها، في تخطّيه انعزاليته ، قادر على اقتبال إله ينسكب فيه كياناً دافئاً حبيباً .

الاحد ١٢ أيار ١٩٦٣

طريقان إليه

ليس الله هنا وهناك ولا ينتشر في المدى. لا هو في السماء ان حسبناها مكاناً فلا يحده متسع يظهر هو فيه ولا الفكر يحصره . والتعبير عنه ، في الرسالة الموحاة ، تعبير من أجل الانسان ، به يدنو من مقامه ليوجد ويحيا ، ليعرف فيتحرر . هذا الذي يفوق كل جوهر وعقل — وبهذا المعنى فقط صح ان يقال انه فوق — كيف يتم لقائي به والمعرفة لقاء؟ أبكلمته فقط التي اطيع، ولكن ماذا يدعوني ان اطيع ؟أهذا التحول الذي يحدث فيَّ بفضل كرمه وانعطافه ؟ واذا كان وصولي اليه عن طريق الكلمة التي كشف فيها عن ذاته فهذا يعني اني ادركه لانه ادركني اولاً واني ارتفع اليه لانه تنازل . والكلمة لا فعل لها الا عندما يترجمها هو فينا حرارة وشوقاً . وعند ذلك هي متابعة لتنازله الكريم . مصيرنا اليه نتيجة لحلوله ضيفاً علينا . هذا يشير الى ان طريقنا اليه ما هي الا تكملة للطريق التي خطها للبلوغ الينا . انتقالنا اليه يعني بالدرجة الاولى، انه هو الآتي ليجبر المكسور ويغفر ويجمع ما طهر فينا لانه منه فيعود بنا الى نفسه في كل يوم . ما ظنناه توبة ورجوعاً ليس بالفعل سوى عمل انحدار علوي ولملمة الهية .

هذا هو النظر المباشر الى وجهه . ولكن ثمة تأملاً لوجهه واستثماراً

ومن كان بنا لطيفاً بلطف الله يعيد النفس من هروبها ويرويها بعد جفاف ويجعلها مطمئنة من عزلة . وهي صائــرة الى اللطف عينه لانها ادركت السلام لما عرّفتها النفس الهادية الى سلام الله ، فتواضعت بعد كبر وطهرت من دنس وصارت بدورها هادية الى دروب النور .

واذا عادت، بعد تجربة الى الشدة وهوت في مزالق الشر وانكرت ويئست ، اذا تمردت وانغلقت يكفي ان تلامسها رقة الله من جديــد بواسطة الودعاء فتدرك رفقه وتتلاشى اسباب المقاومة فتغمرها الرحمة وتلين فأذا بالاله الذي حسبناه بعيداً قريب واذا الذين حــولنا في دفئه والخليقة جديدة .

واللطف وليد أيماننا بأن منفذاً اساسيا مــن منافذ البشر الى الله صبرنا وبأن كل غضب هدر لقوة الايمان التي عند الآخرين . ولذلك كان الرجل الغضوب غير مؤهل للقيادة . والتروض في هذا السبيل ممكن ولا سيما اذا عرفناه شرطاً من شروط الانارة .

في بادية البغض والقسوة والاغتصاب التي هي دنيانا ،النفوس اللطيفة واحات يتهيأ فيها الملكوت المرتجى .

الاحد ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٣

الله خفياً فيه ، الا اغرق في مشكلة ، الا يأسرني زماني ، ان أبقى حراً من الجميع لانفذ الى اعماقهم ، الا أتلهى بالغلاف .

عند ذلك تلتقي الطريقان في محجة واحدة .

الاحد ١ كانون الاول ١٩٦٣



الإله القريب

عَلَّم بولس الرسول عن الله، فيما علّم، أنّ قدرته السرمدية ولاهوته ندركها بالمنظورات. وهذا، عند الشارحين، ليس برهاناً عقلياً على وجوده تعالى ولكنه تأمل في غير المرئي عن طريق المرئي. وقد أكد بولس هذا المعنى في خطابه في أثينا حيث تكلم عن طلبٍ لله وتَلمّسٍ له عن طريق صنائعه «مع أنه عن كل واحد منّا ليس بعيداً». وكأنه يريد أن الالتماس هذا، الخارجي هو أضعف الايمان. اختباره في داخل النفس أمر لا يحتاج الى دليل «لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم أيضاً لاننا أيضاً ذريته». هذا الاتصال الباطني يغني عن البرهان. ولذلك كان التشديد على أدلة وجود الخالق من نطاق الحس ونطاق العقل من باب الفلسفة لا من باب المعرفة الدينية الاصيلة. وهو كذلك لأن الله أبعد بكثير وأعمق واكثف من ان يوضَع على مستوى الظواهر. فاذا ربطناه بالظاهرة وجعلناه السبب الذي يفسِّر ظهورها يزول من الاذهان بزوال التفسير القديم للظاهرة وحلول تفسير جديد. فاذا استغنينا عن الله كبرهان الا نستغني عنه، بالنتيجة، كوجود؟ ليس الله في مجال البراهين الانسانية ولا نأتي به لنغطّي جهلنا. فمن فعل ذلك يضطر الي تنحيته متي صار بالامور عليماً.

الله الذي يواجه الانسان بحوار ومواصلة ليس هنا وهناك ولا يصح عليه الأين والكيف ولذلك لا ينفيه العلم المكتفي بحدوده ولا يقدر ان يمس وجوده . ليس أهل الايمان مقيّدين بـــأي تفسير علمي عن نشوء الكون . والانسان قد يستدل عليه من ظاهر النهوض. ليس من امكانية لاصطدام العلم والوحي لان همومها مختلفة . يدرس الوجــود لنفسه ، بأساليبه الخاصة. أما الله فنطلبه أخيراً في عالم الوجدان ولذلك يحتم ان نخترق الفضاء ولا نلقاه .

قال الحسين بن منصور الحلاج المتوفى في السنة التاسعة والثلاثمئــة للهجرة مخاطباً ربّه :

وأي الأرض تخـــلو منك حتى
تعالوا يطلبونـــك في السماء

اذن « بعين قلب » تراه لان ملكوته في الداخل. الذي يحيا في هذا الملكوت ، الذي يسود كيانه قد تجاوز التساؤل عن وجود الخالق او عدمه لانه تعالى عن التحليل الى اليقين .

هذه الديانة الداخلية التي صبا اليها الاطهرون في كل فترات التاريخ هي التي أنشدها الحلاج بقوله :

لي حبيب أزور في الخـــلوات
حاضر غائب عـــن اللحظات
مـــا تراني أصغي اليـــه بسمع
كي أعي ما يقــول من كلمات

يؤكد صاحبنا أن الله « سر السرائر » . ولذلك كان طلبه « نحــو

الهواء » بمناجاة السماء ظن و وهم . والناس في ضلال اذا التمسوه من خلال الاشارات «والرب بينهم في كل منقلب»فأمكن المتصوف الكبير ان يعلن عن العلاقة بين الله والبشر بهذا القول :

وما خلوا منه طرف العين لو علموا
وما خلا منهم في كل أوقات

الله فينا ونحن فيه . هذه ليس بسهل كشفها لان الذي يتّقي ربه ويتنقّى من الشهوة يستطيع ان يرى رؤية القلب ، يستطيع ان يصل الى الاله بدون دليل خارجي .

الاحد ٦ ايلول ١٩٦٤



في معبد الكرنك

لقد جاز القمر ليلتين بعد البدر فانتظرته طويلاً ليشرف على معبد الكرنك وينزع بعضاً من رهبة الليل التي كانت تحتضنه . السماء في أشد الزرقة مثلما تراءت للذين رسموا سقوف المقابر في وادي الملوك منذ أربعة وثلاثين قرناً .

تنتصب العمُد في بهاء القمر وحولها « الرياض على النيل ، على حافة النيل » (أشعياء ١٩ : ٧) . انه ينبطح في قلب الصحراء وكأنه لا ينساب . في كل نقشة تراه لانه ليس حياة مصر وحسب بل روح عبادتها . تعييد للحياة المنبثقة منه كان الكهنة ينقلون السفينة المقدسة ، مرة في السنة ، من قدس الأقداس في الكرنك الى النهر حتى معبد الاقصر ثم يعيدونها اليه مُحمَّلة على الأكتاف ويتقدمهم فرعون والجند والعازفون والراقصات ومصر آنذاك ، كما يقول النبي ، في ترنح كالسكارى .

هذه الوثنية المترفة عيدت للخصب كما تهلل له كنعان . الموحدون العبرانيون وحدهم رفضوه . عظمة المدنية المصرية انها ارتفعت في الحياة الروحية ارتفاعاً كبيراً . لقد أرادت ان تنتصر على الموت فآمنت

بالحساب والبعث وما كانت التماثيل العديدة للملك الواحد في كل معبد الا تأميناً لعودة الروح الى التمثال في حال فناء الجسد المحنط . حضارة قامت كلها على فكرة الخلود . لقد شيّدت الهياكل وظهر هذا الفن الرفيع والعلم الذي رافقه تأكيداً لهذا الايمان .

التمس المصريون القدماء عودتهم الى الحياة ، الى مملكة النور . ولذا بنوا مدينة الاحياء على الضفة الشرقية من النيل حيث بزوغ الشمس ومدينة الأموات على الضفة الغربية حيث تغيب . الشمس هي الاله . انه هو الذي كان يعيدهم الى الحياة. والذين كانوا بعد الدينونة لا يخلصون كانوا يُطرحون خارجاً . النور وحده كان الوجود .

خليط من الخطأ والصواب كل هذه الصنمية . أليس هذا كنه الشرك ؟ الانسان المصري يقوم من بين الأموات ليأكل ويشرب، ليلازم الارض وما اليها . لعلّ ماهية الصنمية ليست في اقامة الانصاب والمنحوتات ولكنها في عشق الارض وتأليه الانسان .

وعلى ذلك ، الانوار المبدّدة في الوثنية حبيبة الينا . كلمات الله زُرعت ليس فقط بين دفتي كتاب بل على جدران المعابد والقبور شعراً ولوناً وحفراً بين الاهرام وأسوان .

وفيما كنت أودّع الوجه القِبْلي من هذا البلد الكبير كنت أتساءل: هل تستطيع المدنية الحديثة ان تكتسب من جديد الجمال الذي فقدته؟ هل تقدر أن تكون كلها مُسخَّرة للتحدث عن القيامة ؟ ألعل الجمال مرتبط بتعاطي شأن الله ؟ ولعلّ المدنية التي لا تفقه شؤون " صائرة ، آجلا أم عاجلا ، الى ان تَخرُج من [illegible] رض المنسية ، مملكة قبور .

الاحد ١٩ ايلول ١٩٦٥

الى س.ع
من الحجاب الى الرؤية

الإيمان ذروة درجات. فقد تكون درجاته السفلى ركام الأقوال المقدسة، حكاية، إشارات: أشياء نعملها ونسمعها. هي ملامح عن إله، مختلطة بما هو ليس الإله. الإنسان يزيِّن الحقيقة بالخرافة، يغلِّف الأعماق ليستطيع نشلها فنقلها.

هذا لا يعني أن الحقيقة واحدة مع الخرافة. هذا لا يفيد لحظة أننا نجمع بين العميق والسطحي، بين الجوهر والعرَض. ولكن ينبغي أن نعرف الحدود بين الثابت وغير الثابت، بين مصنوعات الإنسان وما يؤتاه الإنسان من فوق.

غير أن التفريق بين ما هو جوهري وما هو عرضي في شأن الله لا نستطيع أن نتكهن متى يكون أو كيف يكون أو إذا كان سيكون لهذا أو ذاك. في أمور الفكر البشري، القفزة إلى الأعماق تتطلب فقط عقلاً ثاقباً. والانتقال إلى صميم الفن يتطلب إحساساً مربى.

ولكن لا شيء يضمن اكتشافنا لأعماق الوجود أو لمعنى الوجود أو لمعنى الوجود الذي نسمّيه الله. انقشاع ما يغطي الله ليس بالأمر الهيِّن لأن الله لم يستر نفسه فقط بالكلمة والرمز والكتب الموحاة والتاريخ الديني - هذه تخفي بالقدر الذي تكشف. **ولكن الإنسان أيضاً يضع غشاوة على سمعه وبصره، يؤلِّف إلهه، يصطنعه، يفلسفه، يحبس نفسه فيه.**

وما يزيد الأمر تعقيداً أن الله أخفى نفسه عمداً بمقدار لئلّا يبصره الذي لا يريد أن يبصره. **الله لا يتسلط علينا، لا يقتحم. إنه وراء حجاب.** ويريدنا أن نصل إلى وجهه بهتك الحجاب لكونه لا يشاء يبهرنا بإغراء مفرط. اكتشافنا لله حصيلة تنازل منه وانفتاح منا. اللقاء دائماً سر لا يُسبر غوره. إن ثمة دوماً مشاركة إنسانية لئلّا يكون الوحي صاعقاً جابراً. نحن والله نرفع النقاب عن الحقيقة. نحن وإياه نزيل معاثر الايمان.

ومع ذلك كله يستطيع الوميض أن يتحوَّل نوراً دفوقاً. ولكن الكائن الذي اهترق حجبه وكتبه وتاريخه ليتنزل إلينا لا نستطيع أن نرده نحن إلى خفاياه أو ظلماتنا إن شئنا أن نتبيَّنه. فإذا برز الجمال لا نتسلّى بتفسير الجمال، بردّه إلى العناصر التي تكوِّنه. الجمال كل ليس مثله شيء، إنه ليس الأشياء التي يقوم بها. **كذا الله، لا نردّه إلى المعقولات ولو كانت لقطات منه أو ركائز له. ولكنه يتعدَّاها كما يتعدَّى الجمالُ النقدَ الفني.** الكوب يعطي الماء شكله ولكنه ليس الماء. وإذا تفجَّر الماء من ينبوع فإنه يطفح ولا شيء يضبطه.

فوق ذلك، الله جمال بلّوري لا أصفى منه. ومنه وحده يعبر النور. **ولكنه كالبلّور يتكسّر. يتكسَّر في مفاهيمنا وفي أهوائنا.**

مشكلة الإيمان، مرات كثيرة، تكمن في هذا. كيف نتطهر من آراء لنا وشهوات لنصبح قادرين على الرؤية، على اعتبار الجميل جميلاً أو البلّوري بلّورياً؟

بدء الإيمان هذه الرؤية. ذروة الايمان المحافظة على هذه الرؤية. النقاوة في إزاحة الستائر عن الله وعن قلوبنا. عند ذاك يتجلى «الله أعظم من قلوبنا».

الأحد ١١ آب ١٩٦٨



آلام الله

صعوبة الحديث عن آلام الله في فكر غريب عن التصوّف أن هذا الفكر مُقولب يونانياً . وفي هذه اللغة ، الألم يُقال له « باثوس » أعني الانفعال وهو يتضمن الشهوة . ومن باثوس اشتقت « باثولـوجيا » ، علم الأمراض . والانفعال ، عند الاغريق ، نقصان . واللاهوتيون التقليديون الخاضعون للفلسفة ينزِّهون الله عن الألم لأن هذا نقصان والله لا ظل فيه للنقصان . هذا الموقف مرتبط بنظرة أفلاطـون الـذي يفهم الحبَّ انحدار وجود .

ولكن هذه النظرة الساكنة إلى الله ، التي تجمِّده إذ تجرِّده ، لا تُرينا صلة القُربى بينه وبين الإِنسان. الإِنسان لا يفهم العون إلاّ من شريك. وفوق ذلك، الاله الكلاسيكي لا يعرف مشكلة الألم إلاَّ من حيث أنه يقضي بآلامي أنا منذ الأزل، يرتِّـب أوجاعـي في برنامجـه. مرضي داخل في خطته الكونية. ويجب أن أقبل مصيبتي جزءاً من هذه الخطة وأن أُسرّ بها لكونها عنصراً من عناصر الانسجام الذي يتعدّاني.

هذا الإله ليس إلهي . فأنا لست جزءاً من كل ولا عنصراً من

عناصرِ انسجام ولو الله واضعه . **أنا محبوب أو الله غير موجود . أنا محبوب إذا كان الله يتألم .**

الألم ، طبعاً ، مرتبط بالحب . من أحب يشارك حبيبه كل شيء . والسؤال الذي لا مفرّ منه هو هل أن الله يحب . أصحيح قول يوحنا أن الله محبة أم إنه ليس إياها ؟ أنا لا أؤمن بكل إله ، أنا أؤمن بهذا الإله الذي لا أثر فيه لانتقام ولا ظل فيه للتعذيب . أنا لا أؤمن بإله يكون شر الناس فيه خيراً وخيرهم فيه شراً . **أنا أنزّه الله عن الانتقام لأني أنزّه الإنسان الكامل عن الانتقام . أنزّهه عن الغضب الحقيقي لأن هذا الغضب لا يكمن في الصالحين** . وما بدا خلاف ذلك في الكتب الموحاة إنما كان على سبيل التربية والإيضاح البشري ولا يعني في الله شيئاً . الرب صلاح كله وطهر كله . وصِفاته جميعاً تؤول إلى هذه الصفة الوحيدة التي هى المحبة . فخالقيته وحكمته وعزّته وقدرته وسلامه وغفرانه ورحمته ، كلها ، بالنهاية ، تعبير عن هذا الدفق العظيم من الحب الذي ، إذا عنى شيئاً ، إنما يعني مشاركته المخلوق ويلاته بحيث يضمّها السيّد إلى قلبه وفكره ، بحيث ينزف مع كل نزفة ويئنّ في كل أنّة .

وأمّا أنه محيط بالأمور ، عليم بها ، رؤوف بلا حراك ، طبيب بغير ابتلاء فهذا كله من باب تأمله فينا وتفرّجه علينا . الإله الذي إذا حدق بنا يغط بعد ذلك في جلبابه الأبدي ، ساديّو الأرض أرحم منه .

إن ما يمنع الناس أن يفكروا بآلام الله كونهم يرفعونه عن الزمان ويضعونه في أبدية ساكنة . والحق أننا نستعطفه كي يتدخل في شؤوننا فيما نحن بحاجة إليه . ماذا يعني استرحامنا إلاّ إيماننا بأنه يصغي فيما

نحن متكلمون ؟ إن تجريده عن الزمان يبطن ظننا أن الزمـان عنصر التغيير فقط والله لا يقع في حيّز التبديل . والواقـع أن الله يَدخـل في الزمان إذا شاء ويَدخل في المكان إذا شاء . الله لا يحدّه زمان أو مكان ولكنـه ليس خارجاً عنهما . الله فيهما بلا حُلوليّة ولا اختـلاط ولا تحوّل . وهو إذا دخل الزمان يجعله لنا أبداً . لا شيء محـدود إذا الله مسّه .

ما يهم الإنسان المتألم أن الله رفيق أوجاعه . **الآن** . في الحال ينعطف إذا استعطفناه ويستجيب إذا التمسناه . **الله ليس مديراً لفبركة الأزلية ولكنه يواكبنا وهو طريح الأحزان والشدائـد التي نقـاسي . ونحن إلى الأبد وحيدون إن كان الله ليس هنا في قلب محنة يتقبلهـا معنا** . صدره هو الدرع دون فتكها . نحن لا نرزح تحت وطأتها لأنه هو لا يرزح . نحن لا نثق به مسجّلاً هذا الضغـط علينـا مسبقـاً في حسابات الأزل ومقطراً إياه حينما يحلو له حتى تقفل حسابات الأزل .

جراحنا تستطيع أن تفتح أبـواب الألـوهية أمامنـا . جراح الله وحدها تمهِّد دونه سبل الناسوت . إنه يندرج فينـا كما نـندرج فيه . وسلّم الحب هي وحدها سلّم تنازله وتصاعدنا معاً .

الأحد ١٨ آب ١٩٦٨



الكائن والظاهر

حياتي أقضيها بيني وبين الناس . هي مني إليهم ومنهم إليّ . إنها ، من حيث فعلها أو مدّها ، في هذا الـ « بين » . من هنا نشأت ازدواجية الكينونة والظهور ، حسب تسمية مارتن بوبر .

على مستوى أعمق من مستوى العلاقة البشرية « حياتنا مستترة مع المسيح في الله » . أي أنها معروفة لديه فقط وهو كاشفها لنا في اليوم الأخير . **أن أكون ، هو أن أكون عنده ، أن أجد حظوة في عينيه** . وفي النهاية ، أنا لا أعرف نفسي أو ليس المهم كذلك ، أنا أعرف أني حبيب الله وحسبي . أنا منه أتكوّن كل يوم . من هذا القبيل ، حياتي ليست هنا أو هناك . إنها ليست من الأشياء التي حولي وأُعاني حضورها بالمتعة ولكنها فقط فيما أُعاني من الله ومن حضوره . إنها فيما ينعطف عليّ من فوق ويصبح بيني وبين الناس صلة .

بسبب من هذا أنا أمام هذا التأكيد المتضاد **أن الناس هم كل شيء وأنهم كلا شيء** . إنهم كل شيء لأن الله يعرفهم كذلك ، لكونه ينشئهم من حيث يحبهم . لقد اشتراهم بثمن كريم وكان بالتالي كل

منهم أعظم من الكون لأن الكون لا يعرف أنه محبوب وهم قادرون على هذه المعرفة . إنهم عمالقة لا لأنهم ينتفخون بل لأن الله يعملقهم ليبلغوا قامته . ولقد كشف لهم سمو مكانتهم لما اختار لنفسه بينهم مقراً وصار يحيا الألوهة كلها في جسد من أجسادهم .

إنهم عظام فقط لذلك . وفيما عدا ذلك « من هو الإنسان حتى تذكره » ، هباء تذريه الريح عن وجه الأرض ، عشب ، دودة ، تراب . أسماء كهذه أطلقها الكتاب على ذلك المخلوق البشري لما نظر إليه من أسفل . إلهاً سمَّاه عندما رآه من منظار الإله . ولكن من يعرف أنه ابناً للعلي يدعى أو أنه بات جليس المجد منذ أن صعد ربنا إلى السماء !

الذي عنده بعض من هذا العلم عفوي ، حر يحيا هذا التضاد الذي أشرنا إليه . المخلوق عنده أعظم مما قد يظن هذا المخلوق . ولذا يجثو أمامه سبع مرات ويرى في وجهه بهاء الله لأنه يطل عليه إطلالة الله . ولكن إذا أطل عليه من أسفل أي من حيث إنه وجيه في الدنيا ، ثري ، وزير ، ذكي ، جميل ، عالم فلا بد أن يراه دودة ، تراباً أو شيئاً مثل ذلك . لا يخشاه ولا يستطيع أن يخشاه لأنه يحبه ، يحب فيَه هذه النعمة التي قد تكون خفيّة عليه هو . يحب فيه هذه العظمة التي استمدها من دماء الناصري . ولذا يبقى بالكلية حراً منه وبالتالي قادراً عليه بالقدرة التي يعطيها الله لأحبائه ، تلك التي يمارسها لكونه يقضي بعض الليل يصارع الملاك وإذا أطلقه الملاك عند الفجر يترك فيه سمة الصراع .

هذا الإِنسان العفوي ، الحر يستمد بحريته الكثير من الآخرين لكونه يتقبل محبتهم . إنه يضيف في نفسه الألوهة التي لديهم . ولكنه لا يتقبل منهم شيئاً من كونهم هباء أو عشباً أو دودة أو تراباً . هذه لديه إلى زوال . إنه لا يعرف أن يستمد منهم سوى الرحمة التي استودعهم الله إياها . العُلَوِي يأخذ من العُلَوِيين أخذ الأخ من الأخ . المجانيون مجانيون في الأخذ والعطاء . المؤمن حر كالطفل ، حر كالريح التي تهبّ حيث تشاء وتسمع أنت صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب .

المؤمن كائن أمامك ، كائن ببساطته . يرى فيك بهاء الله وأنت عنده كلا شيء . صفاتك التي من أسفل لا يراها عالقة على وجهك . ولذا لا تؤثّر في عينيه . إنه خفر النظرات ، لا يرى ما يلتمع . لا بد أن يرى فيك ما يبقى . مع هذا الباقي يقيم علاقة . **وإذا كنت تؤمن أنت بهذا الذي يبقى فيك إلى الأبد تدرك أن هذا الإِنسان صاحبك إلى الأبد وأن صداقة الآخرين تزول كلما زالت عنك أمجادك الكاذبة .**

المهم أن تكون أنت ، أن تدرك أنك قائم في عيني الله أبيك وأن حياتك فيه مستترة وأن قيمتك الحق مكشوفة لمن كان عند ربك كريماً عزيزاً. وأما غير الاعزة فما شأنك بهم إن شئت ان تظل صامداً.

على هذا المستوى تخطيت أنت مسرحيات الحياة . وغدوت في صميم الوجود الذي الله مكوِّنه . وكنت أنت أيضاً عفوياً ، حراً تلعب مع الآخرين مسرحية الله في دنياه .

الأحد ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٩



الفصل الثاني

إلحاد وايمان



«لا» للالحاد

في « الاوريان » الادبي الاخير كلمة لفؤاد سعد يقـول فيها « لا » لاشتراكية حاول مصطفى السباعي ان يؤسسها على الاسلام . وقال لنا فؤاد سعد انه اخفق. ثم راح يهزأ بتقرير مصري مرتبط بمشروع الانماء لانه يـذكر اسم الله حتى تناول الكنيسة المسيحية ورأى انها بادت كما باد الاسلام بظهور الالة الناسخة والثورة الفرنسية . فالديانتان ظهرتا في مجتمع الصناعة اليدوية الذي زال ولا بد من فنائهما بزواله . ثم ارادنـا سعد ان نبارك العنف لان السوفيات والدول الغربـية تستعمله على السواء ، كأن استخدام الغرب له يبرره،ومحبو الله يشجبون العنفانى كان . واخيراً نادى بطرح الاديان وقال بالمادية لان الانقلاب حاصـل شئنا ام ابينا .

مقال صدرته الجريدة بقولها انه ذو نزعة ماركسية وكلله الكاتب بالكليشه الماركسي المعروف : « الدين افيون الشعوب » . كان لفؤاد سعد جرأة الملحدين . ولو صرح رفقاؤه بالحادهم لكفونا عناء اقناع السذج في هذه الديار بأن الماركسية والدين لا يجتمعان . طبعاً يسؤونا ان يربط الكاتب الاشتراكية كلها بالالحاد ومنها الوان تتنافى والايمان، تلك التي تريد ان تكون اصلاحاً اجتماعياً جذرياً لا يستوحي فلسفة

مادية لجأ اليها كارل ماركس لأنها كانت سائدة في عصره ولا مبرر لوجودها اطلاقاً للوصول الى المكاسب الاشتراكية . لم يبرهن لنا فؤاد سعد عن وجوب التخلص من الايمان لينحصر الانتاج في يد الدولة . قد تجاوز الاسلام والمسيحية الثورة الفرنسية باكثر من مئة وسبعين سنة . وما انهارت الكنيسة في روسيا بانهيار النظام الذي قيل انها تزول بزواله . بعد نصف قرن من تعليم الحادي ينبت جيل فتي من الكهنة . هذا تحد صارخ للنظرية الماركسية القائلة بأن الدين انما هو وليد المجتمع وانعكاس له .

اذا كانت الاشتراكية مشروطة بالعنف فنقول لها : « لا » لان المرء لا يستطيع ان يبني نظاماً انسانياً بطرق وحشية .

ثم بأسم نظام بشري ، ولو سما ، الا انه غير نهائي ، يطلب منا حضرته ان نكب يقيناً أثمن من حياتنا . ان كانت الحقيقة في الاشتراكية فستبقى . والايمان ابقى .

الاحد ١٣ ايار سنة ١٩٦٢

مواجهة المذاهب

في خضم الاديان عندنا يتساءل المرء ان كان عندنا تجمع مذاهب او مواجهة مذاهب . ولعل بعضاً من تعقّد مشاكلنا القومية ناتج ليس فقط من تضارب المصالح الزمنية بين اتباع هذه الطوائف بل من وجودها جنباً الى جنب دون تقابل . ولست أريد بهذا التقابل الجدل بل تعرّف كل من اللبنانيين الى الاديان القائمة عندهم على صعيد علمي بحت . انّ تدارس هذه القضايا لمن الامور الاساسية ليس فقط لاكتمال الثقافة بل لاعرف المنطلق العقائدي الذي يذهب منه بعض الناس في تصرفاتهم ، واتفهم مواقفهم تفهماً داخلياً موضوعياً . لاني عندما افهم اتسامح وكثيراً ما احب .

نحن في هذا البلد بحاجة الى دراسات دينية علمية ليست غايتها الدعوة . الدعوة حرّ الانسان في القيام بها ولا يجوز ان نستنكرها لان من طبيعة الدين ان ينتشر وعلينا تأمين جو الحرية الكامل للدعاة . ولكن الى جانب هذا نحن بحاجة الى عرض يتوخّى اذاعة المعرفة . والانسان ينعتق من كثير من تعصبه ان هو اطّلع على الديانات اطلاعاً صحيحاً فلا ينسب الى دين ما ليس فيه . واذا توصل المستشرقون ان

يكتبوا في ديانات لا يؤمنون بها ، فبالحري يستطيع علماؤنا و..
مؤمنون ان يكتبوا عن مذاهبهم بالاسلوب العلمي الذي يستسيغه الكل
في سبيل المعرفة الرصينة التي تحرر ابداً . والقـــول بالاسلوب العلمي
يفرض عليّ ان استقي الاسلام من مصادره والمسيحية من مصادرها
وان اشرحهما كما عرفتهما من هذه المصادر .

ما وجب على صعيد عام يتوجب قطعاً على الصعيد المدرسي . في
مدارس الدولة واكثر المعاهد الخاصة تعليم ديني ولكن هذا لا يحـــلّ
مشكلتنا لان الطلاب يجهلون بالكلية الاديان الاخرى . ان تراث هذه
البلاد الثقافي منحدر كله من الديانات القائمة عندنا ، والوحدة الروحية
بين الناس لن تتم باستمرار هذا الجهل . في الدرجات العلى من الرقي ،
يمكنني دون تلفيق ان اتفهم المذاهب كلها تفهماً محباً . ولكن في كل حال
لا يسوغ ان احشر في ذهني صوراً عن عقائد اخرى صاغتها مخيلة
الجماهير خرافات جيلاً بعد جيل .

الاحد ٩ أيلول ١٩٦٢

الدين ورجاله

مهابة الدين تلقي وشاحها على حامليه فأذا هم في حرمـــة . تزداد الحرمة على قدر ما يزدادون هم وقاراً . فاذا بين الرسالة ومَن انتُدِب اليها رباط يقوى في الاديان التي جاءت بشكــل كنائس تتسلسل فيها السلطة من الله وتكتسب بحكم التسلسل قدسية .

مع ذلك ، الرئيس خاطىء واعوزته حقيقة الله . والنابهون في الدين من ابنائه عليهم واجبُ تذكيره بالرسالة التي ارتضى التكرس لها واذاعتها لانهم مرتبطون معه بواجب الدفاع الواحد عنها .

من المسلـّم ان يتم تذكير الرئيس بالاجلال اللائق بكرامة ولكن بغيرة قد توصف أحياناً بعنف اللهجة ان كانَ في الامر ما يوجب ذلك. وحدهُ الغيرة الحقيقة . فالغيرة المقرونة بالرشد تتقي الإعثار وتتجنب التجريح ولكن لا تني في الاعلان الكامل عــن مشيئة الله ضد كل خلل وكل تحـّيز وكل تهاون ، وبالتالي ضد كل انسان مهما سما شأنه وكل جماعة تضلّ .

رجل الله يلوم ويؤنـّب وفي الكثير من هذا يقوم الوعظ . ومــن جعل نفسه فوق العظة يجعل نفسه فوق الرسالة أيضاً ، واذاً خــارج

الجماعة التي يسوس ان كان رئيسا . رجل الله لا يراعي فرداً ولا دولة لانه لا يرعى الهوى. والناس افراداً كانوا او دولاً تحت حكم الله وكلمته. ان سفر الرؤيا في الانجيل مكتوب كله ضد الامبراطورية الرومانية الملحدة مضطهدة الكنيسة. هذا هو مسلك الغيور في كل زمان. والغيور يكافح الجحود صراحة ويبيّن مواطنه لئلا يقع بِصَمْتِه البليغ هذا في مساومة الباطل .

ازاء المبشر اقلّ ما يطلب من الرئيس الا يخلط بين نفسه والرسالة. ينبغي له ان يدافع عن السلطة التي تحمله وتبرر وجوده اي عن الفكرة التي يجسّد لا عن فرديته الزائلة .

وادنى واجباته ان يفتّش في كلام محشو بالخطأ عن الحقيقة التي لا يشوبها خطأ وان يفيد من وقوع الآخرين لاصلاح نفسه ومناهجه. قال بوسويه: « كل سلطة تُفسِد فاذا علم الرؤساء هذا» طلبوا التواضع طريقاً للمعرفة والتعامل لئلا يصحّ فيهم قول الغزالي : « ابداً يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق » .

خير من الدفاع عن السلطة ممارسة المحبة التي هي وحدها مصدر السلطة ومبرر بقائها. لا حاجة لاؤلي الامور ان يذكروا أحداً بسلطانهم ان نسوا انفسهم الإخلاص .

الاحد ١٦ أيلول ١٩٦٢

فضيلة المؤمن والملحد

« انا لا أقتل ولا أسرق .. ما حاجتي الى الايمان ؟ » يتصور من يقول هذا ان غاية الايمان بعث الفضيلة والحق . ان الفضيلة ثماره . الايمان حقيقة في نفسه، هو موقف ثقة من اله عرفنا وجوده وارتحنا الى نجواه. وما كانت مناقبنا سوى تعبير عن حبّنا له ، تعبير يزيدنا معرفة له . لا يتساءل المؤمن لماذا يؤمن كما لا يتساءل الحي لماذا يأكل . واذا كانت حياتنا الخارجية تقوم بالطعام والهواء فانساننا الداخلي يقوم كله بهذا الحوار مع الرب .

ثم هذه الفضيلة التي يتبجحون ان عندهم منها مقداراً بدون ايمان أتتهم بالواقع من ايمان انطفأت شعلته فكأنها رواسب ينبوع انقطعوا عنه . هي مخلفات بيئة دينية . ولكن لو سدت المصادر الدينية مدة جيلين او ثلاثة ماذا يبقى لأحفادهم من هذه الفضيلة ؟ تبقى لهم النزاهة عن السرقة والقتل ليس لانهم خيّرون ، ولكن لانهم يخشون السجون. قد يؤدّون هذا الواجب العائلي وذاك الواجب المهني لئلا تتعرقل مساعيهم ومصالحهم . يجد الانسان في تجنب الرذيلة كثيراً من الراحة وصيتاً حسناً مفيداً وبنيان حياته بهدوء ولكن ان انقطعت روابطه بالايمان

العميق ، فالرذائل الخفيّة التي يرى انها غير مؤذية لأنتاجه وحسن سمعته لماذا يتحاشاها ؟

هذا الانسان يطلب التهذيب لا المحبة ، ولا يهمّه من الاخلاص الا ما يكسب به رضى رؤسائه . في كل هذا هو انسان اجتماعي غريب عن الابعاد الروحية المذهلة التي يصل اليها المتقدسون .

* غير المؤمن يمكن ان يكون على شيء من الفضيلة ، إمّا لانه وريث ايمان قد انقرض وترك في نفسه مناقبه ، او لانه بالحقيقة مؤمن يجهل نفسه اي انه اتصل بقيم ليس المجتمع مصدرها هي فوق المحسوسات والروابط القانونية والاجتماعية . لماذا يجب ان احبّ ان كان الله غير موجود ؟ وكيف يمكنني ان احب ان لم أدرك عن طريق الايمان فقط ان كل انسان أخي ؟ الواقع الاجتماعي كثيراً ما يشير الى ان الانسان ذئب للانسان . الاخاء قيمة يفرضها الانسان على سلوكه يشدّ نفسه وجماعته اليها .

تفوّق المؤمن الى الابد انه يحسب نفسه غير فاضل .

الاحد ١٤ تشرين الاول ١٩٦٢

خواطر في الالتزام

المؤمن يلتزم الله كما يلتزم المهندس بناية . يقيم الله في الآخرين. يمدّه. هذه هي قضيته الوحيدة . وما من أدب يكتبه او عمل يـــأتي به الاّ ليكشف الله لنفسه او يطلقه في الآخرين . الكتاب او الصورة عنده أداة للدعوة . الدعوات جميعاً ، قديمها وحديثها ، ليس لهـــا هاجس الجمال . و كثيراً ما أعرضت عنه لخطره . وفي كل حال حـــذرت من طغيانه. لا يشغلها الفن الا مداورة لتكتسب الفكرة به صموداً فترسخ بواسطته في الأذهان او تلتقط به المشاعر. الداعية الديني يعلم ان الشعور وحده يتيه فيهذّبه بالعقيدة ويصرفه الى الرؤية الروحية . انه يتعهد الانسان بشدّه الى العلاء . اما أدوات الانسان وتعابيره فكلها مسخـّرة لادراك هذا العلى .

كذا أصحاب الدعوات الاجتماعية او السياسية . همهم الوصول الى فردوسهم. ولا قيمة عندهم الا لبثّ الدعوة. من منظارها فقط يتطلعون الى الوجود . حَمَلَةُ الرسالات ، مهما سما تعبيرهم وجملت وسائله ، لا يعتبرون أنفسهم أدباء ولا يريدون البتة ان يتلهى القوم بغير الرسالة . فلا يكتبون التماساً لحسن الصيغة او اثارة للتذوق. أفضل الصيغ عندهم ما يدعم الرسالة .

فاذا كان كل ما يكتب اسمه أدب، فالدعاة ذوو أدب ملتزم. ولكن قبيح المكتوب ليس أدباً . فاذا جذبتنا المؤلفات العقائدية من حيث الصياغة، تكون كغيرها أدباً حقاً ولو لم تكن في عرف اصحابها كذلك. قد يكونون من بناة الذوق من حيث لا يدرون. ونحن من بعدهم لنا ان نتأمل معجزة الكلمة عندهم .

غيرهم يكتب من اجل الجمال أصلا والأدب مهنته. واللفظة تستهويه بجرسها كما يأسر اللون او الشكل سواه . هذا ، وان لم يكن الحق همه الاول ، الا ان الجمال طريقه الى الحق. قد يتعثر ولكنّ الذين اختاروا الطريق المباشرة ايضاً ، لا يسلمون من العثرات . صحيح ان كل انسان، من قريب او بعيد ، ذو صلة بشيء من ايمان . ولكن من امتهن الحرف امتهاناً ، من أحبَّه من أجل نفسه ، قد يقودنا به الى الله من حيث لا يدري كما ان الداعية يرمينا في الجمال من حيث لم يسعَ .

بسبب من ذلك دعا أحد آباء النصرانيـة الكبار الى قراءة الشعر الوثني . بات هذا الشعر في عصره أدباً محضاً لا خطر فيه . ولما تجنى أحد الأباطرة على منع قراءة الشعر اليوناني تمكّن في القرن الرابع أُسقف اللاذقية على نقل التوراة الى الشعر . كان هذا وذاك يلتمسان الخـير الأسمى على دروب الذوق .

فاذا كان عشاق الجمال وحدهم يطلبون الأدب من أجل نفسه، فليس هناك من أدب ملتزِم أو غير ملتزِم بل هناك أدب ملتزَم أو غـير

ملتزَم.فان أرادا العقائديون ان يسخروا الحرف تسخيراً والا يسلكوا سبل الجمال فلا حرج عليهم . ولكنهم ليسوا بأدباء . وان كان في الدنيا لا عقائدي وسلم بيانــه من كل قبيح وأتحف الناس بالروائــــع فليكتب ما يشاء وتمتصّ النحلة ما تستطيـع .

الاحد ١٠ شباط ١٩٦٣



حرية الالحاد

لا اكراه في الدين لان الدين عقيدة. فأما ان تُقبل النفس الى الايمان او لا تقبل . ولذا يقوم الدين على الدعوة . وهذا يعني ان الارتداد عن العقيدة حق من حقوق الناس او قل انه واقع نسجله وواقع نحميه . والانسان عرضة لشتى المؤثرات وقد تقوده حريته الى الالحاد او الى اعتناق مذهب غير مذهبه كما تقود الجاحدَ حريته الى الايمان . ان الذي يضمن حرية الدين يجب ان يضمن حرية الشك . فلا يجوز اخلاقياً ان نلزم انساناً بشهادة لا تنبثق عن قناعته الكاملة. ليس لاننا بذلك نكون طغاة وحسب بل لاننا ايضاً نحشر في طائفتنا المذهبية ناساً لا يريدون الانتماء اليها بصورة من الصور .

ليس في لبنان حرية دينية بهذا المعنى الكامل لان لبنان يجبر الناس جميعاً على الانتماء الى طائفة معيّنة . واذا قالوا انهم ملحدون فلا فرق عنده . الطائفية العقائدية قد لا تهمّ الدولة ولكن الطائفية الانتسابية تهمّها. الدولة عندنا، من هذا القبيل ، اكثر الدول جحوداً لانها لا تبالي بيقين الناس او شكهم وترصفهم جميعاً في الكتل الدينية القائمة ضمن الحدود. وهذا يعني مثلاً ان اللبناني الذي نشأ في المسيحية وتركها مُجبَر

على قبول بركة الكاهن ليتزوج ، والزواج عند النصارى سر من اسرار الكنيسة وعمل غاية في القدسية يتهيأ الانسان له بالتوبة والصلاة. الرجل الذي لا يؤمن بشيء من هذا عرضة لارتكاب الرياء . والكاهن يجد نفسه امام مشكلة وجدانية لا حلّ لها اذ لا يجوز له ان يقيم الصلاة لغير مؤمن .

ثم اذا أُخرج الانسان عن الجماعة الدينية بالحرم او التفكير فالى أين يذهب وهو لا يريد لنفسه مذهباً جديداً ؟ هل يبقى مسجّلا في الدولة على دين أخرجه او يُجبَر على انتقاء مذهب جديد حتى يندرج في سجل ما ؟ والملحد الذي لا يريد ان تجري له مراسم الجنازة كيف يموت في لبنان والمقابر كلها باستلام الطوائف؟هل تُفرض عليه الطائفية العقائدية ، بالرغم منه ، بعد موته حتى يستقيم النظام في البلد ؟

هل صحيح ، في لبنان ، اني استطيع ان انظر الى مقدسات الناس جميعاً نظرة مستوحاة من النقد العلمي التاريخي ؟ في حدود التهذيب والاحترام المطلق لعقائد الناس واللهجة الرصينة هل يجوز لي ان ادرس الملل والنحل بحرية كاملة وان اعبّر عن رأيي بصراحة تامة بحماية الدولة؟ ان كان هذا غير مباح في لبنان عملياً فلماذا يجوز لاي مؤمن ان يهاجم الالحاد هجوماً عنيفاً ساخراً ؟

لا نحتجّنّ على قمع الحرية الدينية اذا كنا غير مستعدين لاطلاق حرية الشك والتعبير عنه كاملين .

الاحد ٣ آذار ١٩٦٣

الحلقة المفرغة

في زمان تصير فيه الحساسية الطائفية الى فرط ، يميل الانسان ان يتحاشى البحث في أيّة عقائدية دينية من شأنها ان تُفسّر تجاوزاً الى ميدان الغير . بالضبط هذا وجه من وجوه الانغلاق الفكري . صار تخوّفنا من الطائفية – على الصعيد العاطفي – شللاً لكل محاولة فكرية مسؤولة ، لكل دعوة روحية صريحة ، لكل تعبير علمي جريء. فلئلا يساء الى الغير كان من الواجب التزام الصمت . هذا ما تريده اللادينية عيناً . الموقف المثالي في احترام آراء الغير ، النابع من الوجل والقائد الى الوجل ، لا يستفيد منه بالنهاية الاّ الالحاد . ان السكوت لم يكن يوماً علاجاً .

وهناك الانسان الفرد المتعطش الى النور. هذا لا نستطيع ،لاسباب سياسية ظرفية ، ان نحبس عنه ما نعتقده نوراً . والانسان ، بالنهاية ، كل شيء . وفي آخر المطاف قضيتنا الكبرى هو كيف تكون الدولة في خدمة الحرية . والسلام الذي لا حرية فيه كاملة هو سلام مُصطنَع ، وفيه تكمن كل قوى الانفجار . الحرية وحدها هي التي تتيح للنفس

البشرية الوصول الى الحقيقة . الدولة لا تعرف حقيقة اخيرة ولا تضمن وصولها للمرء . ولكنها تعطي كل انسان فرصة للتعبير . فـلا يُفترض حاجز خارجي دون ادراكي للحقيقة التي كشفها سواي .

وبالنسبة اليّ ، الحق هو ما اراه حقاً والباطل ما أراه باطلاً. وليس عندي امكان تمييز غير نفسي. وليس عندي تفتق ولا خلق الا اذا فُتح امامي مجال التعبير عن نفسي . وهذا التعبير لا يجوز للدولة تقييـده اعتباطياً كما لا يسوغ لها مراعاة فرط من الحساسيّة المذهبيّة دون رعاية سعيي الى رسالة خلاص .

وينتج عن هذا ان الكيان السياسي يجب ان يسمح لي بالدعوة الى الايمانية او الى الجحود . فاذا ناديت بعقيدة من العقائد الدينيّة فمـن الواضح اني لا انادي بها في مكان مغلـّق ولا في وسيلة واحدة من وسائل التعبير .ومن الواضح أيضاً أني اقدر ان اقارن بينها وبين غيرها. وهذا ممكن بكثير من النزاهة والترفـّع والاحترام . وان مجرّد دعوتي الى مذهب يفرض اني انكر شيئاً في المذاهب الاخرى او اشياء .وانامؤمن ليس فقط بالحقائق التي تجمع بين دين ودين بل أيضاً — وبالقوة نفسها— بتلك التي تفرّق ديني عن غيره وتبرّر ولائي.وان كنت أنا مؤمناً بأن الخلاف الذي بيني وبين سواي غايـــة في الاهمية وان الحياة كلها فيه فأكون في ضلال وعصيان ان لم أكشف هذا الخلاف. قد يبعث هذا الى الجدل ولكن الحرية من طبيعتها الجدل . وقد يستغلّ الشارع جدلاً . فلنضرب الشارع لا العلماء الذين اخذوا يتناظرون . فليقل كل انسان في ديني ما يريد . هذه هي الطريقة المثلى للتصافي او التلاقي ان امكنا.

فليس الدين كائناً حياً حتى يمسه أحد . واذا مس احـد الـكائن الاسمى فمن انا لادافع عنه ؟ كيف يخسر الله وجوده ان انكره جاهل وكيف تهبط قيمة كتاب ان نحن حللناه بما لا يوافق الرأي المألوف؟ اللهو كلمته او الشأن الديني ، كلها في عقول الناس . وخير طريقة لاحترامها هو ان أحترم الناس في اقبالهم اليها او اعراضهم عنها .

الاحد ٣١ آذار ١٩٦٣



بعض الالحاد إيمان

كثيرون ممن نسميهم ملحدين ليسوا كذلك حقاً فأنهم ما خرجوا على الله في حقيقته بل على آراء حيكت حوله ، على مفاهيم للانسان عن الخالق خاطئة . خرجوا على صنم . فاذا نسبنا اليه تعالى مـــا يتنافى والعدل والمحبة ، ان جعلناه منتقماً او مستبداً ، عدوا للانسان نكون قد ألبسناه الرداءة التي تحول دون رؤيته . ولست اريد هنا التسميات فقد يخون التعبير ولكن من رأى في الباريء شيئاً من هذه المشاعر فليس ذا كرامة اذا لم يتمرد عليه . الملحد ، بالواقع ، يأبى الهاً قبيحاً اخلاقه هي دون الخيرين من الناس. كل انسان على صورة الاله الذي يصف. فمن وجد فيه الضيق والقسر فهو متعصب متعنت . ليس الله نفسه مسؤولاً عن ذلك . وكان الاذى ليس في الله بـــل في تشويهه . والانسان تجره المعصية الى صنع ربه على صورته . والفكر اذا نحَت ليس أقــل تحريفاً من الازميل .

ثم تأتيك الفلسفة القديمة ببراهين عن الله لا ترضيه ولا ترضي العقل. ولسنا اليوم حساسين لها. والله لا يقيدكَ بفلسفـة. وطريقته ان يكشف نفسه لقلب المؤمن بحيث يدنو العقل من هذا الكشف دنواً ولا يستوعب. يقف عند العتبة ويتقبل . وفخر العقل على قدر تواضعه . هكذا يمكنني

ان اؤمن بربي واتنكر للبراهين التي اعطيت عن وجوده . والاستدلال عمل التحليل العقلي الخارجي .وحضرة الله سابقة لكل استدلال .فأذا ربطت الهك بنظام عقلي معين ورفض الناس الهك فهم ليسوا اياه جاحدين بل معرضون عن فلسفة .

والمذابح والحرب التي شُنّت بأسم الله ، في ظل ديانات عديدة ،لا علاقة له بها وهو لم يأمر يوماً بسفك دم . الانسان في ضعفه ، في نفاد صبره كان ينساق الى العنف من أجل ربّ وديع. المؤمنون هم المسؤولون عن الالحاد عندما يكتبون اسمه على كل شهوة من شهواتهم . كيف ينقل السيفُ الكلمة ؟ واذا كان شأن المولى مع عباده ان يجعل في قلوبهم رأفة ورحمة فسبيله الوحيد الى هدايتهم ان يعلن نفسه رؤوفاً رحيماً. المشكلة الوحيدة ، مشكلة المصير هي ان نعرف الله في صفاته . ويختلف أحدنا عن الآخر اصلاً بحسب الجواب الذي يعطيه عن هذا السؤال . ولذلك عملية تطهير الفكر الديني من كل صورة عن الله تمت بصلة الى العنف او الاكراه كانت عملية التاريخ . وكل تبرير لقتل او حرب او تنكيل او تضييق يقوم به فرد او عصبة او مذهب او امة بأسم الدين ، اياً كان الظرف والعصر ، كل تبرير كهذا مصدر من مصادر الحاد في الجيل الانساني الذي يعي كرامته . وان كان عمل المؤرخ ان يفهم الاحداث فموقف المؤمن ان يوبخ على آثام الماضي والحاضر. الى المحبة الكاملة لكل انسان ، كائناً ما كان لونه او دينه ، تطمئن القلوب. اليست المحبة تنزل علينا « مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا » ؟ اذا تذوقنا هذه المائدة يزول السبب الوجداني للالحاد . اله المحبة مَنْ ضده الا من أبى ان يكون محبوباً ؟

الاحد ١٥ كانون الاول ١٩٦٣

الحرية الدينية في مجمع الفاتيكان

حدثٌ من أبلغ الأحداث ، دينياً وسياسياً ، إقدام الكثلكة على القول بالحرية الدينية ، ومعلمها الأكبر توما الاكويني ممن برّروا مبدأ احراق الهراطقة . أما الاسس التي تسعى الكثلكة الى اقرارها اليوم فأهمها التالية :

– مهمة الكنيسة نشر رسالتها ولكن بطرق المحبة والاقناع . الامتناع اذن عن كل اكراه .

– حق لا يمكن التنازل عنه لكل البشر ، غير المسيحيين منهم والمسيحيين ، ليس فقط ان يؤمنوا بل ان يقوموا بمراسم ديانتهم .

– لا يجوز للدولة ان تفرض على المواطن قبول دينها او رفضه كشرط للاسهام الكامل في الحياة القومية والمدنية وبالحري ان تظلمه أو تسلبه لأسباب دينية .

– للطوائف الدينية حق الانتشار بأساليب الاستقامة والاخلاص وليس بسوء استعمال الدعوة لادخال الناس في الدين إقحاماً او إغراء .

– يتوحّد العالم حالياً عن طريق المواجهة الحرة . فالحريّة الدينية شرط المساكنة السلمية والوئام في العائلة الانسانية .

هذه المبادىء نابعة من هذ الحس الجديد بأن الامر المهم ليس فقط الحقيقة بل الشخص الذي يراها . انه هو الذي يتقبّلها او يرفضها . هو المدعو الى الاخلاص . والله لا ينجيه بدون حريته ، ينتظره بالصبر . انـّه الانسان الداخلي الذي يرتضي فينا الايمان او يمجه فلا نفع بالتالي من انسان نرغمه على التمذهب. يكون هذا الانسان خارجاً عمّا أقحمناه فيه.

هذه هي السماحة لا التساهل او اللامبالاة . هي ليست تأكيداً لحق الضلال بل لحَق الضال في اختيار طريقه . انها تنطلق من احترامنا للعقيدة واحترامنا للشخص . والعقيدة تُعرض على الناس عرضاً فتحيا. وبكلمة اخرى ترى الكثلكة اليوم ان الارتداد الى الدين او عنه من تلقاء النفس لمن شروط الكرامة البشرية .

الحدّ الوحيد لهذه الحرية الاستقامة والاخلاص فلا اغراء بالمال او النفوذ لاقحام الدخلاء . فلا انا احترم المهتدي اذا قبلته لغير القصد الديني الصرف ولا انت تؤمن بدينك حقاً ان استقبلت فيه من له قضية معلقة في مذهبه او من ينتظر منك احساناً لم يَنـَلـْهُ في ملته .

والدولة قائمة لتأمين الحرية. فلا يصح لها ان تفرض دينها على مواطن حتى تقبله في الحياة القومية قبولاً كلياً . فمن ادنى واجبات الدولة ألاّ تظلم احداً لعقيدته وألاّ تحرمه الوصول الى أعلى المراتب لمذهبه . ان الفاتيكان يعترف للدولة بأن يكون لها دين رسمي – وبعض من الدول تدين بالكثلكة – ولكن الكنيسة الغربيّة اليوم تأبى ان يكون هذا الدين الرسمي مبعثاً للتفريق الاجتماعي والمدني بين الكاثوليك وغيرهم .

لاشك ان موقفاً كهذا نداء ملح من الكثلكة على الاقتداء بها من هذه الوجهة . وهذا يعني بالطبع انها محت كل خطيئات التضييق التي ارتكبت منذ محاكم التفتيش حتى اليوم. ولكن هذا يعني أيضاً ان مَنْ لا يقول هذا القول بعد اليوم سيُعَدُّ متخلّفاً في التفكير الديني والحس الحضاري .

الاحد ٤ تشرين الاول ١٩٦٤



الإله العربي

« لولا الحاد الماركسية ودعوتها للصراع الطبقي ورفضها للملكية الفردية ، لـكان العالم كله ماركسياً »
شارل مالك

استشهد باسم الجسر ، الاحد الماضي، بهذا القول وارتأى ان تكون المبادىء الاساسية للحياة في لبنان الايمان بالله ، لا دكتاتورية العمال ، الملكية الفردية . أي أراد ان نجمع عملياً على اللاثورة في بـــلد يستأثر بثروته ٤ بالمئة من سكانه ، في بلد القول فيه بالنظام الاقتصادي الحر ، المطلق في حريته يعني دكتاتورية رأس المال . قدسية الملكية الفردية دون تحديـــد ، ربطها بالله ماذا تعني ، بالنهاية ، سوى اطلاق أيـــدي الملاكـــين الكبار الذين يسنّون القوانين ويكبّلون جرأة رجال الدين بالمشاريع الخيرية الصغيرة التي يقومون بها حتى لا يطالبوهم بالأكـــثر . النظام الطائفي في لبنان مـــاذا يعني ، في آخر المطاف ، سوى سيادة الزعماء السياسيين ، المتمولين من كل طائفة ؟ دكتاتوريـــة الشغيلة ، في الماركسية ، لا يُراد بها أكثر من زحزحة الرأسمالية عن الحكم وتسليمه الى مَن يعمل . وفي عرف الماركسية أساتذةُ الفلسفة والصحفيون واهل الفن من الشغيلة . وكيف يتم هذا بدون مصارعة للطبقة المتحكمة بمصير العباد ؟

الخلاف بيننا وبين الماركسية ليس على مبدأ الصراع الطبقي بل على الوسيلة . الشيوعية تتبنّى الحقد . والمقياس الخلقي الوحيد عندها هو ان ما يساعد على الثورة أخلاقي وما يؤخّرها غير أخلاقي . الماركسية تضحّي بأي انسان في سبيل الانسانية الجيدة المتوقعة . عندنا القيمة المطلقة ليست في الانسانية الفردوسية المجردة التي لم تأتِ بعد ولا تباشير على اتيانها . المطلق هو في هذا الانسان الذي أمامي . ولكنّ قلب الطبقة الرأسمالية بلا حقد ولا عنف عملٌ فيه كل تقديس للانسان .

الملكية الفردية ؟ قال بولغاكوف وهو كبير بين علماء المسيحية الشرقية التي ينتمي الدكتور مالك اليها ، قال انهذه الكنيسة لا تقف حارساً امام الملكية الفردية . والقديس باسيليوس ، سيد الفكر الاجتماعي في المسيحية قاطبة يقول ان الثوب الذي عندك زيادة انت تسرق به الفقير والحذاء الذي يهترىء عندك هو للفقير . آباء الكنيسة الكبار – قبل محالفة الغرب المسيحي للاقطاع والغنى – ليس عندهم ما يجعل للملكية الفردية قيمة لا تمس . كل شيء عندهم للانسان والانسان للمسيح والمسيح لله .

يبقى اذن ان الاساس الوحيد للمجتمعالعربيهو الايمان بالله . ولكنّ شبابنا يذهب بالواقع الى الماركسية لانه لا يجد الله في هذا المجتمع . وما دام النظام الطائفي قائماً اي ما دمنا نستغلّ الله للانتخابات والتوظيف وما دام رجال الدين ساكتين عن الظلم والاستئثار بالاموال فالشاب العربي لا يستطيع ان يشاهد نور الله في هذه الامّة . ليس الالحاد نظرياً عند أحد . كارل ماركس نفسه – قبل ماركسيته – كتب كتاباً في اللاهوت . الالحاد خبرة مرارة ويأس من المؤمنين في العالم .

السؤال الاساسي هو هل ان الحضارة العربية تحمل الله حقيقة ، الاله

المحب الذي لا يغزو ولا يبطش ولا يكره اهل الاصنام ويحترم حرية الزنادقة والكفار؟ الفاصل الحقيقي في الدنيا ليس بين مَن يُسمى مؤمناً ومن يسمى ملحداً . الفاصل هو بين القائلين بالعنف والقائلين باللاعنف كوسيلة لتحقيق الخير في العالم. فاذا قال بالعنف كلٌّ من المؤمن والماركسي فانهما في خط واحد ، خط قتل الانسان في سبيل الانسانية. هذا المؤمن وهذا الملحد يعبدان كلاهما إلهاً غير إلهي .

وفرة الاديان في العالم العربي لا تبعده عن الماركسية . العالم العربي ينقصه ان يقدّس الوسيلة تقديسه للغاية وان يعف عن فلسفة الغزو . عند ذاك فقط يتجلى الله له .

الاحد ٧ آذار ١٩٦٥



حوار مع الماركسية

شأنٌ من أخطر الشؤون ما نشرته هذه الجريدة الخميس الماضي عن الحوار الذي جرى في النمسا بين الكاثوليك والماركسيين. زعيم من زعماء الفكر الماركسي في فرنسا غارودي ينفتح الى المسيحية حتى الحد الاقصى. وأهمية ما قاله كامنة في انه يعرف المسيحية عن كثب. يعترف للدين بأنه يثبت نفسه في ضرورة الاجابة عن معنى الحياة والموت. ضعف الدين، يقول غارودي، في انه حاول الاجابة عن هذه الموضوعات بطريقة تحمل وصمة اللاكفاية. ضعف الدين تاريخياً، نقول. الماركسية نقدها تاريخي بحت. يصح جزئياً على المستوى التاريخي لأوضاع الكنيسة. أي ان المسيحيين لم يظهروا دائماً انهم استنفذوا معاني الحياة والموت. ولكنّ أي مبدأ او نظام فكري حسمه الناس حتى آخر امكاناته؟ تقييم التاريخ المسيحي وحده لا يمكن ان يحوي التقييم الحقيقي للمسيحية. هو، في أفضل الحالات، دينونة على المسيحيين أنفسهم و « وصمة لاكفايتهم » كما يريد غارودي. هذا يترك طاقات المسيحية كاملة. من هذه الزاوية لا شك ان الالحاد كان له قيمة التطهير. تطهير أوضاع، نقول. لا مانع ان يكون الالحاد سوط المسيح لتطهير هيكله اليوم. ولكنّ البهاء مقره دائماً الهيكل.

انها لخطوة رائعة بالتالي اعتراف المفكر الشيوعي الكبير ان إلحاد ماركس كان استجابة لوجه الدين التاريخي في زمانه . هذا يقضي بأن لا تتخذ الماركسية من الدين موقفاً نهائياً. كما يقضي بأن تكتشف اعماقه التي لا يطالها التقلب الزمني . وبالضبط موقف ماركس من كل الفكر الانساني متصل بالجو الثقافي الذي كان يسود أوروبا قبل منتصف القرن التاسع عشر . من هذا القبيل المادية الماركسية نظرة مبنية على أوضاع مرّ عليها قرن ونيف . واذا ما بلغ الانسان القمر فالمعطيات الاجتماعية ستكون بلا اتصال مع تلك التي لاحظها ماركس في عصره . المادية الفلسفية شأن من القرن الماضي . لقد مرّ عليها الزمن كنظرة الى العالم. وفي كل حال ليس ما يشير الى انها ستظل صورة عن الاكوان التي سنكتشف . ان امتداد أبعاد الدنيا الى ما لا ينتهي سيجعل من المادية الفلسفية فصلاً صغيراً من فصول تاريخ الفكر .

فاذا زال هذا التلازم بين هذه الفلسفة والعمل الاجتماعي — والماركسية تريد نفسها قبل شيء عملاً — يبقى ان الشيوعية هي «التحقيق الدنيوي لا يمكن ان ينفصل عن الهبة الروحية التي أوجدته . كيف يبقى هذا التحقيق الدنيوي انسانياً حقاً اذا انقطع عن النفحة الكبرى التي عرفـّت الانسان على نفسه وقيمته ومصيره . واذا تلاشت رؤية المصير ونسينا ان البشر لا يبقون بشراً بدون اله فلماذا لا يداس الانسان ؟ تنظيم الدنيا وحدها دون طرح مشكلة الحياة والموت من الاساس يجعل هذا التنظيم مشكوكاً في قيمته على المستوى الانساني نفسه . كل مجتمع تغيب عنه صورة الله — دينياً كان هذا المجتمع في الظاهر ام غير ديني — لا بد له ان يشوه الانسان او يضطهده .

الماركسية « ستزداد فقراً ان هي لم تسهم في معرفة رجـال عظام كالقديس يوحنا الصليب » . انها لنعمة ان يُذَكَّرَ المؤمنين ملحد – وهم عن حقيقتهم ساهون – ان القداسة وحدها هي الجواب .

الاحد ٢٣ ايار ١٩٦٥



الحرية الدينية في الفاتيكان

ستُقرُّ الكثلكة، على المستوى النظري، الحرية الدينية أي ان الانسان لا يسوغ له ان يُكرِه الانسان على اعتناق دين أو الارتداد عنه. كذلك الدولة لا يجوز لها، كائناً ما كان مذهبها، ان تحرم الناس حرياتهم الفردية والجماعية. المرء يدين او يتمذهب او يلحد بوحي ضميره وفيه كرامته.

هذا طبعاً يذهب ضد زعيم الفكر الكاثوليكي القديس توما الاكويني الذي سمح، في خلاصته اللاهوتية الشهيرة، باستعمال العنف الجسدي لابقاء المؤمن على ايمانه ونادى بتسليمه من قبل الكنيسة الى الدولة، ان لم يتب، لاعدامه. هذا أيضاً، بالطبع يخالف كل ما كتبه الباباوات في القرن الماضي وقد أشار الى ذلك، بطرف خفي، نيافة الكردينال المعوشي. شجْبُ الماضي التعليمي ليس مألوفاً في رومية. الكنائس القديمة عموماً معجبة بتراثها. تغطي عوراتها بالصمت فتتجاوزها. ليس المنطق دائماً حجرة عثار.

على ذلك كله خطا المجمع الروماني خطوة تاريخية. لن تبقى الكثلكة بعبعاً في اسبانيا وحيثما تسيطر. ستصبح وديعة «شاة تساق الى الذبح».

ستدرك ان بساطة الانجيل وضعفه أفعل من السلطان . هيبة الكنيسة ، مجد الطائفة ، نفوذ البابا والاسقف ، هذه كلها ستمسي أضحوكة الجيل الصاعد من مسيحيين وغير مسيحيين اذا دانوا بجوهر هذه الوثيقة الرائعة. الرجعية ، عند ذاك ، صفة غير المؤمنين الذين يريدون فرض الالحاد على الناس بقوة دولة بوليسية . ما يضحك في الامر ان النظم المستبدة هذه تبنّت سياسة محاكم التفتيش واللاهوت الكاثوليكي القديم . ستكون رجعية بالنسبة الى المسيحية جمعاء لأنّ الارثوذكسية والبروتستنتية لم تقولا يوماً بعدم الحرية للهراطقة .

ان شهادة الكردينال بيران ، رئيس أساقفة براغ لجديرة بالانتباه عندما تكلم عن أثر الضغط في بلاده فقال ان بعضاً من المؤمنين والكهنة جنحوا ، بسببه ، الى الكذب والرياء ورذائل أخرى . هذه النتائج المؤسفة ، قال نيافته ، ستتكرر اذا مورس الاكراه في مصلحة الدين . « يمكن القول ان الكنيسة في بوهيميا اليوم تُكفِّر عن التعديات على الحرية الدينية كموت يوحنا هوس في القرن الخامس عشر واكراه قسم كبير من الشعب على الاهتداء في القرن الثامن عشر » . صرخات كثيرة في هذا المجمع تشير الى التواضع العظيم الذي يفيض الآن من جسم الكثلكة .

والنفحة الجديدة أيضاً أتى بها ، هذه المرة ، حبر من أحبار لبنان عنيت به البطريرك الماروني . السيد المعوشي يريد لغة جديدة ، صيغة عصرية لهذا التصميم . يطلب « الاستدلال الصاعد الى العلة من المعلول ، نهجاً لا يكون لاهوتياً وميتافيزيقيا بل وجودي » . قد لا يجاري معظم اللاهوتين نيافته في الاسلوب مجاراة كلية . أجل ، النظريات يجب ألا تهبط من عل بل تنبثق من تجربة الانسان الروحية . ولكن هذه التجربة نفسها هي من ثمار الروح القدس النازل الينا . المعرفة الروحية ملتقى

الحركة الالهية المنعطفة علينا والحركة الانسانية المتصاعدة الى العرش الالهي . في كلمات البطريرك الماروني انفتاح على العالم الحديث عظيم .

كل هذا سيفيد الدنيا عندما يقف المسيحيون للمناداة بالحرية لغيرهم عندما يدافعون عنهم ضد كل طاغية مسيحي . هذا المناخ الجـــديد سيطرح على الأديان كلها مشكلة الحرية الكاملة لأتباعها ، مسألة انفكاك الدين عن السلطة الزمنية . ان لم يصبح أهل الايمان باعثي الحرية في العالم كيف لا نصدّق ان الدين لا يزال أفيوناً للشعوب ؟ جدية المؤمنين ، هي في آخر تحليل ، مسألة الوجود .

الاحد ٢٦ ايلول ١٩٦٥



زربا الرومي

فيلم كبير لميخائيل كاكويانيس. فيه حقيقة كبرى ، بسيطة مقرونة بخطأ فادح كأكثر ما يكتبه كزنتزاكيس صاحب القصة موضوع الشريط . الصور أخاذة في أصالة الأسود والأبيض . القرية اليونانية المعمّدة بالنور ، جزيرة كريت شبه المتوحشة في اطار بحر الروم – اذا جازت هنا التسمية – ، وقصة السيرتكا ، كل هذا السحر لم يكن مستقلاً عن هاجس الوثنية الطافحة من هذه الصور .

كزنتزاكيس ، هذه الوثنية حبيبة اليه . مع ذلك هو سليل المسيحية . اخذ عنها محبة الناصري للمعذبين . لم يكن هذا الكاتب العظيم وثنياً مكتفياً بالناسوتيات الا بسبب خيبته من المسيحيّة كما عرفها في اليونان . ولكن لم تلازم هذه الخيبة أدبه الا بقدر تعلّقه بيسوع . طبعاً له يسوعه الوديع والثائر معاً بل داعية الثورة .

المسيح هذا كامن في بعض من نفوس لا تتعرّف الكنيسة اليها بل تجانبها حتى العداء. هذا واضح كثيراً في «المسيح المصلوب ثانية» حيث الكاهن يقتل الراعي الساذج في الهيكل وكان هذا يمثّل ، في الرواية والحياة ، دور المسيح .

هنا أيضاً زربا الرومي ، الخائن للعهد الزوجي ، هو وحده منقذ الأرملة التي فسقت مع صديقه. الشعب يرجم الزانية . المجنون يستدعي البطل لينجيها من قومها. مشهد زربا الرومي مع المرأة وقد منع قومها، للوهلة الاولى ، من قتلها يذكّر مباشرة بموقف يسوع ازاء تلك التي أمسِكَت في ذات الفعل . المسيح يختفي في شخص بطلنا اللاهي. عبثه يغلف صلاحاً . لمَ لا ؟ ليست المأساة ههنا . انها في من حاول ذبح المرأة بعد الرجم . يرسم اشارة الصليب قبل القتل . هذه الازدواجية ليست حقاً مرعبة . ولكن العثرة الكبرى هي في هذا انهم يقتلون المرأة مع انشاد الجدلة الكبرى في الكنيسة المجاورة ، تلك التسبحة العظيمة التي تسبق القداس الالهي . لعلّ الفكرة ان الذبيحة الحق هي ذبيحة تلك المرأة التي كانت ، حتى فعلة الامس والتي لا تزال بالرغم من هذه الفعلة طاهرة صامدة أبيّة فقتلها ذووها حسداً ومكراً وفي كل حال الفكرة الرئيسية أن الكنيسة ترتل فيما يموت الناس في الساحة خارجاً ، ساحة الحياة الكبرى .

بالانسجام مع هذه اللوحة تقوم صاحبة الفندق الفرنسية التي سكرت الناس من خمر زناها ، حسب تعبير التوراة . ولكنها تموت وهي تقبّل الصليب (تذكر ماضيها دائماً بلهفة). طيبّة هذه المومس و كأن الصلاح، عند كزنتزاكيس ، يستغني عن التوبة . موضوع الجسد لا يقلقه .القلب عنده ، لا الجسد ، مجال الطهارة .

على الضفة الأخرى من الوجود الرهبان،البله المضحكون . يؤمنون بالشيطان (يذهبون للقائه في الغابة ، يقع رئيسهم عن الحمار ، يصلون لتدشين عمارة خشبية والعمارة تنهار عند ذكر اسم الله) .

ينتهي الفيلم باخفاق المشروع الصناعي الذي من أجله جاء زربا

وصديقه الى كريت . تتلاشى فصول الحياة عند صاحبة الفندق. وتموت الأرملة الجميلة بعد لحة خاطفة من اللذة . قضية الموت يطرحها زربا على رفيقه المثقّف وتظل بغير جواب . الكنيسة التي يرجى اليها الجواب أعضاؤها أمّا مجرمون أم هم في صلاتهم عن الدنيا ساهون . القلق لا يزول .

أهمّية كزنتزاكيس وأمثاله ان جحودهم يحمل طاقة التطهير. اذا قال المؤمنون عنه أنّه زنديق لا تنتهي المشكلة . تحدّيات الروائي اليوناني قائمة . اذا كانت الكنيسة حاملة طاقة الحياة فلتأتنا بها . قوامون على صلاتهم الذين قتلوا الأرملة الصبية ونهبوا أمتعة الفرنسية .

لم يرَ كزنتزاكيس امتداد المسيح في كنيسته . حجبته ضعفاتها . تمرمرت نفس الكاتب بسبب هذه الخيبة فكفر. لقد أدرك المسيح حالاً في المنبوذين فأحبّهم وفاق بذا كثرة من أتباعه . واذا كانت المسيحية ديانة التجسد فمن حق الناس ان يطالبوها بالحياة يفتقدونها في الجماعة وتسطع الآن قداسة . واذا قصرت عن ذلك فللملحدين بعض من عذر.

ومع هذا كله « لا بد من العثرات » . ولكن لنا ان نتجاوزها ونرى المسيح حاضراً ليس في الخطأة فقط بل في القديسين . هذه الكنيسة التي تأسر سيّدها هي أيضاً التي تطلقه . واذا كانت مجال كلمته وحضوره فالتوقف عند أخطائها تجاوز للانصاف، تحوّل عن بهاء المسيح الالهي وهو كل الوجود .

باريس – الاحد ٣١ تشرين الاول ١٩٦٥



الله والقمر

ماذا يحل بالله لو احتللنا القمر او لقينا في المريخ بشراً سوياً ؟ في المسيحية من مات من أجل الناس كلهم يكون فادياً أهل المريخ ايضاً . وتحمل اليهم البشارة كما حملت الى هنود أميركا . من كان ذا عقل فهو آدمي مدعو الى الخلاص .

حيرة المؤمن ، ازاء الاكتشاف ، غريبة . لماذا يساوره القلق أمام عظمة الانسان ؟ ان علوه يمكن ان يكشف علوا الخالق . لماذا يريدون ان تحجب انجازاتنا قدرته ؟ او كيف يتقلص الله اذا امتد الانسان في الكون ؟ هل الله والانسان عدوان بالضرورة بحيث يجب ان يصغر الواحد اذا كبر الآخر .

موقف الذين قالوا اننا انتهينا الى الفضاء ولم نعثر على الله لمستغرب جداً . الذين قرروا بادىء ذي بدء ان يبنوا هذا العالم ويفسروه بدون الله لماذا يريدون دليلاً جديداً على عدم وجوده؟ كأن الله لا يطرده المرء بسهولة ، كأنك اذا تناسيته يطرح نفسه ثانية عليك .

الذين يؤخذون بهذا الحجج هم خلقوا الله على صورة صغرهم . فاذا

عجزوا في ادراكهم ان يصلوا الى بعض من اللامنتهى ، حـــدوا الله وتزعزع عندهم ايمان كان في الاصل مغلوطاً. مغلوطاًلانه على قامة الانسان والانسان دائماً يمسخ الالهة . الذي فطرنا على صورته هو انما يأتينا بالمحبة لـــكي يجعلنا منتهين الى قامته ، الى ان نراه رب الكون وليس فقط سيد هذه السيارة الصغرى التي هي الارض .

لعل ايمان البعض قد انهار عند الثورة الكوبرنيقية او لما نادى غاليله بدوران الارض . لقد اعتادت العقول البليدة في كل حقبة من حقبات التاريخ ان تجعل الله مربوطاً بنظام علمي او انظمة اقتصادية ابتدعوها . في اذهاننا الرب أله مألوفاتنا جميعاً. فأن هي ذهبت ذهب. ولكن ايماننا ما رقى بنا الى حد ان نجعل كل ما يطرأ على الذهن للمرة الاولى، مربوطاً بذلك الذي يسع الكل. لم تعرف الله حركة تنتمي اليها كل طاقة ونقطة لقاء لخيرات العقل . تعودنا ان نرى الله خلفنا ، دائماً عند السلف ، ان نلتمســه في سلطة الاب. فاذا مـا واجهتنا ازمـة الحريـة وخلصنـا من السلطان الابـوي زال فينا سلطان السـماء. الله نميته بقـدر ما نستقـل لانـه كان دومـا فينا رمـز التبعية. أليست الارض أيضـاً امناً فـاذا مـا ضاعت في العوالم الجديدة فكأنما قد ضعنا نحن أيضاً فيها وضاع معنا رب صنعناه على قياسنا.

ولكن من قال ان الارض مركز الكون ؟ الانسان لا ارضنا محور الوجود . والانسان عظيم لان الله سلطه على الفردوس كله بما فيه من مريخ وقمر . الله لا يحسد الانسان . يخشى علية الانتفاخ ولذا قيل : « قليل من العمل يبعد عن الله لاهوتنا مصعلك عندما نجعل الله «فوق» او « تحت » او « على اليمين او « على اليسار » ، اذا جحدناه بكون الارض قد اشرأبت الى السماء. أليس يبغي لنا المولى دائماً الرفعة ؟ الا نقدر ان نسمع اليوم « صـوت الرب الاله ماشياً » في جنة عدن تحوي

الحقيقة ان الانسان، في دنيانا هذه الصغرى ، استطاع ان يقصي الله من هواجسه عندما أخذ يستعظم نفسه . وكان لا بد لله ان يذهب عن كل قلب مستكبر. الرب نزيل التواضع هذا الذي لا يجرحه أصلاً أمتداد الانسان في الاكوان . ليس العلم بحد نفسه بل سكرنا به هو الذي يزيل ذكره تعالى . الصحو ممكن عند ذاك الذي سيصل الى القمر، اذا خرج من الصاروخ انسان تقي يجثو ويشكر .

الاحد ٦ شباط ١٩٦٦



لائحة الكتب السوداء

أخيراً سقطت مؤسسة كبرى في الكثلكة هي لائحة الكتب الممنوعة التي كانت قراءتها محظرة على المؤمنين . وفي خلال الأجيال كان الكتاب يحرم دون أن يُسمع صاحبه . وصاحبه كان ، في كثرة من الأحيان كاثوليكياً . ومن الكلمات المعزية ، المفرحة في هذا الصدد ما صرَّح به ، بكل إخلاص ، الكردينال أوتافياني حيث قال : « إن أخطأنا فكثيراً ما فعلنا ذلك لشدة الغيرة » .

بالنسبة إلى الكثلكة نفسها جاء هذا التدبير اعترافاً بأن الفكر البشري لا يمكن لمؤسسة ، مهما سمت وَقَرُبَت من الألوهية ، أن تخنقه . وكان القائمون على هذه اللائحة يستعجلون مواقف دلَّت الأزمنة اللاحقة على بطلانها وكأن نضج الزمان كان يكشف للعالم كنيسة غير رشيدة ، غير صبور ، غير طليعية . أما الآن فبدرس هذا « القبر الفكري » خطت كنيسة الغرب خطوة أخرى نحو الحرية الدينية التي وضعت لها في مجمعها الأخير شرعة عظيمة .

ولعلَّ الأهمية الكبرى في إلغاء هذه اللائحة عِبرَةٌ لنا أجمعين هي في هذا أن « نصر الله والفتح » هما دائماً للحقيقة وأن هذه ، ولو متجذرة

في أصول الأزل ، إلا أنها ليست ترداداً لأقوال السلف . فالتكرار مسخ الحقيقة التي هي دائماً حيَّة ، أبداً جديدة في اعتناقها الإنسان ، وامتدادها إلى أبعاده كلها . الحقيقة دائماً في تجاوز لتعابيرنا ومألوفاتنا الذهنية ، في فورة الإبداع .

والفكر ، في سعيه إلى الحق ، لا يُراعي ما نُسلِّم به. إنه لا يلتقي والسياسة على صعيد . إنه لا يتبع نهج دولة . إنه الحضور الخلاَّق الذي لا يُرتَهن لمؤسسة . إنه الحدث المتحدِّي لكل ما يجعل المؤسسة مستكينة . الفكر شيء من النبوّة في مطلّاته وغناه والرؤيا أو هو رصف ألفاظ . وقد يكون ، في قلقه ـ وكل تحرٍ قلق ـ أدنى إلى الأصالة مما يتقيؤه بعض من الرعاة . الفكر الرائد ، ما وراء الحاضر ، عودة إلى الينابيع وبالتالي تمخض بتجلِّيات الآتي . وإذا كان لا شاهد على الحقيقة سوى نفسها ولا مرجع لها خارجاً عنها فهي التي ينبغي أن تتحكم بالدولة وأن تسود المجتمع الديني . فلا يقوم السلطان إلا بمدى اتصاله بالحقيقة . هي وحدها تبرِّره وتزكِّيه .

لا يبقى للحاكم إلا أن يرعى ضمان وجوده بقمع حركات هادمةمباشرة لكيانه ، تلجأ إلى العنف لعدم إيمانها بحقيقتها . له أن يمنع التحريض ولكن لا يسوغ له أن يستنتج من نظرية إمكان خطر عليه . على هذا المنوال كانت روسيا القيصرية ـ هذه المظلومة الكبرى ـ تبيح تعليم الماركسية في كل جامعاتها وتمنح علماء الاقتصاد الماركسيين الدكتوراه . لا يستطيع الحاكم أن يراعي فئة تدَّعي أن كتاباً هو خطر على كيانها .

لن يعيش لبنان إذا كان الفكر فيه غير منطلق حتى استنفاد قوته . لا يسعه أن يظل سجين وحدة سياسية نفرض أن شرطها الأساسي صمت متخاذل . البلد كله لا مبرِّر له إلا لحقيقة في سعيها وتلمساتها . عندنا أن ثمة دائماً ضرورة لإباحة المحظورات . المحظور الوحيد طمس النور كما ينقدح في أي ذهن . فإذا كنا ، في لبنان ، لا نقدر أن نعلن ، قولاً وكتابة ، ما يمكن إعلانه في باريس وستوكهولم فإننا لا نزال موطن التخلُّف. كل فكر يحس صاحبه بضرورة لجوئه إلى مراقبة السلطة لتوكيده إنما هو فكر لا يؤمن صاحبه بقوته ، هو فكر ولد سقطاً.

إلغاء لائحة الكتب الممنوعة في كنيسة الغرب دعوة للعالم وتحدٍّ بآن . متى تزول شرطة الفكر في لبنان ؟

الأحد ٢٤ نيسان ١٩٦٦



الحرس الأحمر

الحرّاس الحُمْرُ سمّوا أنفسهم حفرة القبور للمجتمع القـديم . هذا معقول وضمن المساق التقليدي للفكر الماركسي . وعبثاً يتغنى المرء بالثقافـة الصينية العظيمـة . البرابـرة لا يأبهـون للتـراث . يجـب أن يأخذهم الإنسان كما هم . الكنيسة المسيحية في أوروبا القرن الخامس واجهت مشكلة احتضان البربر وكانت مرتبطة بالثقافة الرومانية فعرفت أن تضم تلك الجحافل الفتية إليها وتمثلتهم فاقتبلوا تراثها . لم تكن الكنيسة في حَنـينٍ مرَضي إلى الثقافـة القديمـة . إن كل مـيراث عقلي ارستقراطي لا بد له من الزوال إن لم يُشرك طبقات الشعب الفقـيرة بمنافعه . وقد يكون الإنسان ممزقاً بين التوغل المترف في المعرفة وبـين إذاعتها . هل الأفضل أن تعرف قلة الشيء الكثير أو أن يعرف الجميع ما هو ضروري للكرامة ؟

وقد نُشر أن حراسنا الحمر يريدون القضـاء على زعماء أمـيركا والاتحاد السوفياتي بآن . إن تبرير الحقد الواحد على هاتين الدولتـين كونهما لا تزالان وريثتين للحضارة الأوروبية كل منهما على طريقته . روسيا أخذت تهتم بشؤونها الداخلية وتركت ، ولو إلى حـين ـ وقـد

يكون طويلاً ـ حلم الثورة العالمية . ثم هي تسعى لتترسخ على أركان تاريخها القديم . فالذي يسود حقاً موسكو من الناحية الفنية والتربوية هي معابد الكرملين وكنيسة القديس باسيليوس في الساحة الحمراء . والمالك سعيداً في لننغراد لا يزال بطرس الأكبر . وعندما أباحت الحكومة طبع كتب دوستويفسكي بيعت كلها في بضع ساعات كأن روسيا الأبدية تتوقع الظهور من جديد . لم يستطع الاتحاد السوفياتي أن يتخلى عن روسيا كلياً كأنهما عاشقان يتجاذبان طوراً ويتنافران طوراً .

ولكن لم يخطر على بال الأكابر من الشيوعيين أن الإنسان قد يذهب بمنطق هذه الفلسفة حتى النهاية . في منطق الثورة وحركيتها أن تصبح ثورة مطلقة ، أن تهدم كل شيء ، أن تهدم نفسها . فكل ما يستقر ، كل ما يصبح وضعاً ليس من الثورة بشيء . إنه ركود ، برجوازية ، وفي آخر تحليل ، رجعية . ولا شك في حقيقة ما يقوله الصبيان الصينيون من أن الاتحاد السوفياتي يهادن أميركا . بالضبط الحرّاس الحُمر لا يقعون في الفخ عندما نسأل الماركسية : « ماذا يحل بالثورة إذا انتهت الثورة أو إذا وصلت الإنسانية إلى الطور الشيوعي ؟ » لم تهتم الماركسية ولا اللينينية بعدها بما سيحدث بعد اكتساح الشيوعية للعالم . فإذا أصبحت وضعاً فأين التطور الدائم ، أين الجدليَّة ؟ العَجيُّ الصيني يجيب عن تساؤلنا : « نريد تمرداً وتمرداً وتمرداً » . الولد الصيني الذي لم يقرأ شيئاً عن لاوتسو ولم يتفقه بإرث بلاده من حكمة وأدب وفن ، وحده أمين لمنطق الثورة . لماذا يجب أن تهدأ هذه ، لماذا يجب ألا تأكل نفسها ؟ هؤلاء الأطفال الصينيون أخذوا

المنطق الماركسي وشدوه بشعره وأوصلوه إلى النهاية . الماركسية ، أساساً ، هيراقليطية : الحقيقة في التغير ، في الانتفاضة الدائمة . ولذا كانت جذرية الحرس الأحمر . شراسة ، نقول ؟ وحشية ؟ ولكن باسم أي إله أو أية قيمة نريد ألا يستعمل الماركسي الملتزم الوحشية إلى الأبد ؟ لماذا يجب أن يتحول إلى حمل إذا انحرف إنسان واحد عن قرارات الحزب في الطور الشيوعي المكتمل ـ ومتى يكتمل؟ وحتَّى متى لا ينحرف المؤمنون؟ سؤال واحد قد يكون مصيدة للحرس الأحمر: لماذا لا يريدون أن يتمرَّد الناس عليهم وأن ينزلوا بهم الفَلَق؟ ولكن الذين لم يقرأوا لاوتسو أنَّى لهم أن يجيبوا عن هذا السؤال؟

الأحد ٤ ايلول ١٩٦٦



في حوار الملحدين

فاق جان لاكروا الخميس في الندوة(*) كل ارتقاب، وهو المسيحي الملتزم، في تحليل للالحاد المعاصر فهيم حتى درجة الود. فقد كشف لنا الدوافع الإنسانية الكبرى في جُحودَيْن كبيرَيْن هما الجحودُ الماركسي والجحودُ السارتري. وليس مُرادي، إنطلاقاً من هذه المحاضرة الممتعة، سوى التشوف إلى خطوط قد تفيد حواراً ممكناً بعد أن ألحّت حضرة لاكروا علينا بالمخاطبة.

يقول ماركس: يُوجِدُ الإنسانُ الله ليهرب من شقائه فيقع بشقاء أعظم. يغيب غياباً يخدِّره. المنطلق لهذا القول ما افترضه ماركس في الله. وافتراضه - وقد جاءه من هيغل - أن الله فكرة وأنه فكرة تحقق نفسها بالتاريخ وأن الوجود - والإنسان منه - في تبعية لهذا الإله. الله يبتلع الإنسان بالنهاية، يذيبه في مثالية ليست من هذا العالم. الإله الذي نحته ماركس يلغي الإنسان. كما أن الإله الذي بشّر به وعّاظٌ كثيرون يبقي البشرية على ما هي فيه من شقاء. فإذا كان الله على هذه الصورة فإنه العدو ومن الحق أن يموت.

(*) الندوة اللبنانية حاضر فيها الفيلسوف الفرنسي جان لاكروا

من هنا نقفز إلى سارتر بسهولة . الله عنده يعرقلني لأنه يعاينني وبهذه المعاينة يجعلني شيئاً وأنا حر . بألحاظه المتفحصة يفقدني الحياة ، يرميني في جحيم إذ يعدمني كل وجودي الحرية .

مهّد جان لاكروا إلى بسط هذين المذهبين بقوله إن الملحدين ليسوا ضد إله الفلاسفة وحسب بل ضد إله الدين أيضاً إذ لا يسوغ أن نحتقرهم ونظن أنهم لا يعرفونه . ولكن بالضبط هل يمتّ إله ماركس وسارتر إلى المسيحية بصلة ؟ لقد بيَّن مفكر أرثوذكسي لبناني كوستي بندلي ، في دراستين غير منشورتين[1] ، أن سارتر وماركس شوّها إله النصرانية . فالنظرة ، يقول لاكروا سريعاً في خاتمته ، يمكن أن تكون نظرة محب تُوجِد وتحيي . وفي بركاتها لا يصبح الإنسان طريح جحيم بل منبعث من قبر . هذا الإله المبدِّد الفرح إله مسخ حقود على صورة شهواتنا . وهنا يبدو لي أن فيلسوف الوجودية الكبير يقيم صنماً ليحطِّمه . يفلسفه ثم يزيله .

إله ماركس أعمق ، يتحدى برصانة ومأساة . لن أواجهه اليوم إلاّ من هذه الزاوية التي تجمعه بإله سارتر وهو أن كلاً منهما خارج عن الإنسان ، لا يطل عليه من نافذة ولا يبلغه الإنسان إلاّ إذا تخلّى عن ماهيته ودعوته وضرورة اقتحامه الأرض . خارجية الله عنا ، تقوقعه في عزلة السماء تجعله يغربنا عن مسؤولياتنا أو كشّافاً لعوراتنا . خارجية الله هي بالضبط كل مأساة الفكر الفلسفي الغربي . والفلسفة الغربية

---

(١) وقد نشرتا في ما بعد في كتاب « إله الإلحاد المعاصر » ، منشورات النور (الناشر) .

تقدِّم لنا إلهاً خارجاً عن كياننا لأن اللاهوت الغربي أيضاً خارجي . إنه لم ينجح حتى اليوم - إلاّ في محاولات المتصوّفين واللاهوت استهجنهم - لم ينجح أن يؤكد الله والإنسان معاً. لم يعرف أن يعطي صيغة معقولة لقول بولس: «إننا فيه (أي الله) نحيا ونتحرك ونوجَد». فقد كبَّر أوغسطين الله على حساب الإنسان. فإذا عظم الإنسان وأدرك إمكاناته ينقبض الله ضرورة. أمّا توما الأكويني فلا يجعل في طبيعتنا أثراً لله. النعمة تُزاد على الطبيعة من خارجها. فإذا شاءت الطبيعة أن تعي طاقاتها جميعاً فما لها ولنعمة أُلقيت عليها وشاحاً برّانياً؟ الإله الجُوّاني غير معروف قبل تيّار ده شردان. وتيّار لا يعطيه التعبير اللاهوتي والفلسفي الكافي. مأساتنا مع الإلحاد النظري أنه منطلق لا من إله التراث بل من إله الذين حادوا عن التراث، أعني أوغسطين وتوما وهيغل.

إنسان التوراة ، إنسان الحرية - الذي عبَّر عنه آباء الكنيسة الأقدمون بوضوح - مخلوق على صورة الله ، ذو بنية إلهية ، إلهيّ بطبعه ودعوته ومصيره . لا تضاف النعمة عليه ولكنها تثب من طبيعته . ولذلك إذا ذهب إلى الله لا يغيب عن نفسه بل يجدها . الله لا يحسده لأن تقدّم الإنسان هو تقدم الله فيه . الله ناجح بالإنسان . يكشف أخلاقه وطبيعته بواسطة الإنسان . الله قيَّد نفسه بالإنسان . تُذاع كلمته إذا نطق بها حليفه الإنسان . الكلمة فعّالة في الأرض بسبب من الأرض أيضاً . والله يبقي ليس الإنسان فقط ، نفساً وجسداً محيى ، بل الكون كله إلى الأبد . الله حريص بعد الخلق أن يلازمه خلقه سرمداً . والتاريخ كله لملمة لما بذره الله في الخلق والتجسد وأضحى

مكاسب من جمال وحق إذا أتى موعد الله ليحصد التاريخ .

هذا يفترض أن المخلوق أعطي حرية على صورة حرية الله وأنها لن تُنزع منه . الإنسـان ليس دمية الله . هذا يعنـي أن حركة في الله حدثت حتى يظهر الإنسان ، أن الله تخلّى عن شيء من جبروته ، من إطلاقيته ليكون منسوباً إلى الإنسان بحيث نصبح نسل الله كما يقول الكتاب العزيز .

بواعث الالحاد الحديث ليس لها جذور في الشرق المسيحي الذي إلهه في تماس مع الإنسان حميم . صورة التماس يجب توضيحها يوماً إذا أتيح لنا ذلك . الإله الحق سوف يقتل مسخ الإله .

الأحد ١٢ شباط ١٩٦٧

المسيحية والماركسية أيضاً

صرّح يفتوشنكو ، منذ أيام ، في البرتغال : « أؤمن بالله . . . ولكن إلهي أنا هو الحقيقة » . نحن وإياه نعبد رباً واحداً . وإن تحدِّي الشاعر الروسي للمؤمنين يحتمل عندي شقين : أولاً ، هل تصورنا لله نقي أم لا نزال صنميين بشكل أو آخر؟ وثانياً ، هل نحن ذوو حياة قائمة على الإيمان ، هل نحن صادقون ؟ ولا ريب إطلاقاً أن الجحود ، مهما توغل في تأملاته النظرية ، متزعزع ـ آجلاً أم عاجلاً ـ أمام زخم المؤمنين بفيض الحق من وجوههم حتى يجوز القول إن معسكَري العالم ليسا الالحاد النظري والدين النظري بل معسكرا الحق المُعاش والباطل المُعاش . والحد الفاصل بين الحقَّانية والغش يعبر كل المجالات المذهبية وكل نفس بشرية . وما تحققه المفكرون الماركسيون ، منذ أمد بعيد ، أن حياة الجماعات الآخذة بالماركسية فيها الكثير من اللا أخلاقية وأنها لم تدرك أي ملكوت . الإيمان الماركسي يحمله إنسان من لحم ودم ، معرَّض للشك ككل مؤمن آخر . الماركسية المعاشة في القلوب هشة كالدين في بعض الضمائر .

وهذا الوجه من الحوار بين الطرفين الديني واللاديني لا يبدو لي

أنه بدأ . كلاهما لا يضحك كفاية . غير أننا من جديد في متابعة للمحاورة العقائدية بين الماركسية والمسيحية جرت ، منذ أيام ، في تشيخوسلوفاكيا. وهذا البلد رائد في المكالمة . في لقاء جمع حول مئتي مثقف من الجناحين قال الأستاذ كاليفودا الماركسي : « عبارة ماركس الشهيرة (الدين أفيون للشعوب) لا يسوغ أن نعتبرها على أنها تعبِّر عن آراء الماركسيين في كل الظروف . كانت ذات قيمة لنموذج معيَّن من الدين ولحقبة معيّنة » . وكان المشتركون ، في المؤتمر ، من شرق وغرب بأكثرية مسيحية . ومن المؤسف أن الاتحاد السوفياتي لم يرسل أحداً شيوعياً كان أم ارثوذكسياً . وغيره من البلدان كرومانيا وبلغاريا أرسل رسميين من الجانب المؤمن والجانب الكافر . والرسميون ، من كل فريق ، يخشون أنبياءهم ؛ في تمرد الرواد خطر على بلادة القيادة .

وكأن الريادة في المعسكر الاشتراكي (إذا استثنينا غارودي وتولياتي الغربيين) لتشيخوسلوفاكيا . ومنها الأستاذ ماشوفيك من جامعة براغ . تحدث عن الموت قال : « إن الماركسية ، كما هي حتى اليوم ، لم تحل قضية من الحياة الإنسانية » . وأخذ على الماركسيين استغراقهم في « الأساليب الاقتصادية الصرفة » وتقيّدهم « بكلمات السر السياسية » . وتابع كلامه يقول : إن مشكلة الحياة الإنسانية لهي المشكلة الرئيسية في ماركسية المستقبل . . . الماركسية ، بعد أن تركها الله ، سوف تتقبل ، آجلاً أم عاجلاً ، ميراث السر الإنساني » .

الرواد الماركسيون ، من يفتوشنكو إلى هذا المؤتمر الأخير ، يتراءى لهم الآن إله حق لم يلتقط منه ماركس سوى صورة مشوَّهة .

الصادقون منهم لا يطمئنون إلى التصلب اللا ديني الذي ورثوه . المسيحيون ، من جهة أخرى ، لا يقبلون ديناً وعظياً ، همه الأوحد الشواغل الاكليريكية والنظام الطقوسي وروعة الانشاد وسحر الاخرويات على ما في كل ذلك من حقيقة وشعر . كل هذا ، إذا أصبح فعلاً تاريخياً ، تبديل أوضاع ، نضالية ملموسة تلتزم كل الإنسان ، تتراءى للناس حقيقة الإيمان . الحقيقة يجب أن تصبح صدّاعة ليبصرها العالم . قيمة الماركسية في التاريخ ليس انها حقيقة في بنيانها مع أنها محقة فيما تهدم . قيمتها الكبرى أنها تجلد المؤمنين لئلا يكذبوا . الماركسية هي السوط الذي يُطهِّر به اليوم المسيح هيكل العالم ومن لم يقبل جلدها بتواضع خدَّاع .

الماركسيون العرب ، في غليانهم ، نرجو أن يضطروا أن يعيدوا النظر في مواقفهم من الدين بعد خمسين عاماً . لم يفت الأوان حتى يتحرروا من رجعيتهم الفكرية فيما يختص بالمسيحية . يكون من المفارقة بمكان أن ينبري المؤمنون ، بعد عشرات من السنين ، ليلقنوهم درساً في ماركسية مغسولة من نتانة الإلحاد .

الأحد ٢١ ايار ١٩٦٧



شابّ وفتاة

حديثان في يوم واحد حرّكاني . حديث مؤمن وحديث شابة . كلاهما وُلِدَ على المسيحية . الفتى وصل إليها من اهتداء قريب . الصبيّة ضلّت عنها مؤخراً . الشاب يطلب علم النفس في جامعة أوروبية . البنت تسعى إلى العلم نفسه عندنا . أذهلني إخلاصه في الإيمان وصدقها في النكران . المادة العلمية واحدة يرافقها موقفان .

ماذا قال لي الغلام ؟ قال إنه اكتشف في المسيحية المحبة وإنه يحيا محضر المسيح إذا اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمه . الأخرى كان بإمكانها ، لو رأته ، أن تقول هذا تخيّل مثلما أجابتني لما ذكرت لها الخبرة الروحية. قال لي أيضاً: إن المسيح متروك وإنه يجب أن نكون بجانب المتروكين وأننا نعرف السيّد فيهم . ثم ذهب إلى أبعد. تركُ الله للمسيح على الصليب ، تَركُ الله لنا ، كل هذا أيضاً تعبير عن محبته. واسترسل: **الألم لا نبقى عنده، إنه مفتاح الفرح والسلام**،وكان يردد: فرح ، فرح .

طلبت إليه أن يُكلِّم شباب بلادي عسى أن يولد الشباب في بلادي .

بعد ذلك بساعتين انهارت الفتاة عليّ بوابل من الأسئلة المتحدية . كان في عينيها بريق ذكاء ، لا يخلّ منطقها بشعرة . **أحببت إخلاصها في الجحود ، سعيها إلى الحق في الجحود ، أأقول سعيها إلى الله** ؟ لا ، أنا لا أهذي . أما سمّى الله نفسه الحق ؟ يمكن أن يكون الذهن على الباطل والقلب في جهاد التطهر مما احتسبه خرافة . ولذا أمكن صاحب البدعة أن يكون شهيداً .

ليس مرادي أن أعرض هنا المناظرة التي تمت بيننا . كانت على شيء كبير من الدقة العلمية بحيث نستغني عن تبسيطها في هذا المجال . ولكن بلغنا معاً هذه النتيجة أن علم النفس وعلم الإجتماع ـ وكانَا حَقليْ بحثنا ـ لا يُلغيان الله ولا يؤكّدانه . حاولت أن أكشف لها **أننا نستطيع بالعقل الدنو إلى عتبة الله وإن كنّا عاجزين أن نستدلّ عليه الاستدلال القاطع** : ارتفاع الخليقة من الأدنى إلى الأعلى كأنها تصبو من ألف إلى ياء ، كأن أحداً احتضنها في البدء وينتظرها في النهاية . تجاوز الإنسان نفسه في السعي الخلقي كأن ثمة من يلقانا في آخر المسيرة ، من يروي عطشنا ويقول : تعالوا ؟ صمتت عند هذا الحد . وجدت لا أدريتها أعظم من ثرثرة كثرة من « المؤمنين » يردّدون صيغاً لُقّنوها .

ترجيح العقل لله لا يحسم الخلاف . ليس الترجيح تأكيداً . ماذا إذن ؟ أتكون القضية قضية موقف ، تابعة في النهاية إلى تباين في الحس ؟ هل الشاك أدنى إلى المزاج التحليلي ، يخطو الخطوة تلو الخطوة ببطء ، العقل المتفرّج على الوجود ؟ **لا ريب أن في الإيمان قفزة . كل يقين تجنّح، بعض مغامرة . ولكن أليست رؤية الجمال كذلك** ؟ النقد

الغني لا ينقلك إلى الجمال ، يحاول تفسيره ولكن تفسير الحسن شيء والتقاطه آخر . الحسن لا نخلقه ، نتقبله . أجل يقتضي شيئاً من المعرفة ، رياضة روح ولكنه في متناول من سلك هذه الرياضة ، كل من تبلورت نفسه للالتصاق به . ليس الإيمان موقفاً نتخذه . « لستم أنتم الذين اخترتموني ، بل أنا اخترتكم » .

أنا أعرف أن ما قلته تهجئة جواب . ليس على مستوى الكلام تكون القناعة . **الإيمان** « **برهان الروح والقوة** » ، **بهاء مؤمنين أحياء** . كنت منكسر القلب ، حزيناً لما ودّعتها ونحن في معسكرين . لقد أرادت أن تحيا حياة مليئة ، ذات معنى ولم تجد في الكنيسة المعنى . شعرت أنها مؤسسة كالمؤسسات ، لها بشاعة المؤسسات . اعترفتُ بذلك لأن هذه رؤيتي أيضاً . « ولكن إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك » . وجه المؤسسة صائر إلى الموت . كل شيء إلى موت . ولكن الصبية كانت بحاجة إلى من « سمع ورأى بعينه ، وشاهد ولمست يداه ما كان من البدء من جهة كلمة الحياة » . **مسيحية بلادي لم تكن على مستوى العطاء الذي هو البرهان** . هذه الشابة ، في تفانيها ، أحبت المحرومين . جهل كنيستي للمحرومين مما باعد أيضاً بينها وبين رب الكنيسة .

إذا عدت إلى كلام الفتى الذي لقيته قبلها لقلت : إنها متروكة كالمسيح على الصليب . إنها إذن محبوبة . لقد ذكّرني زميلها الذي لا تعرف أن « الحزن يؤول إلى فرح » . متى لا نحجب النور لنقيم الفصح مع التي صارت أمس ، بسبب شقائها ، للمسيح أُخيَّة؟

الأحد ٢٤ ايلول ١٩٦٧



على هامش ثورة أوكتوبر

الشيوعية كنيسة ترعرعت فيها البدع ، تشعبت عميقاً ، صارت عادية كالأديان في واقعها بحيث يستطيع المرء أن يتحدث عنها بلا كراهية ولا ولَهْ . باتت ، في وطنها الأول ، شيئاً برجوازياً ، أداة حكم ، موضوع يوبيل لأن نارها هناك خمدت وانقلبت صوفيتها سياسة .

كيف تنقذ ثورة أوكتوبر الاتحاد السوفياتي وقد أمست تلاشي حلم ، توطيداً لرؤية خروتشوف أن الحلف ممكن بين بلاده والاستعمار الأميركي ؟

أضخم حدث في القرن العشرين ، أعني ثورة البلاشفة ، يضمحل في تجربة الخبز التي وقعت فيها أميركا قبله فأغلقت دونها ودونه الآفاق. وإذا كان الخبز فلماذا الحرية؟ هذا هو الاغراء الأكبر الذي يقول عنه دوستويفسكي في أسطورة المفتش الأكبر. روسيا الرسمية لا تقرأ دوستويفسكي. أميركا لا تقرأ شيئاً. لقد تجاوزنا ماركس. بطن الإنسان لا الإنسان غدا رأس المال. هذه هي الأمثولة التي تحاول الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

أن تبثها ، بالواقع ، في العالم تسلطاً على العالم . ولكن الشطر الثالث من الدنيا الذي لا يزال متطلعاً إلى الكرامة دفنت آماله في يأس الكبار من الإنسان كأن الكرامة والقوة لا تجتمعان ، كأن صرخة الاصاغر هي وحدها الحقيقة ، كأن التمرد أعظم من الثورة .

ذكرى الخمسين تتابع ، هنا وثمة ، حكاية عن الماضي ، وصف إنجازات . ومن الهيِّن أن يبسط المرء إحصاءات فصولاً وبنوداً عما كان في العهد المباد وعما تلاه . وكان لخروتشوف أن ينبِّه أن الانتاج الزراعي كان أوفر في العهد القيصري . ليس هذا التقصير هاماً بحد نفسه ولكن هاجسنا نحن أن الثورة كانت رجاء الدنيا بدءاً وطمحت إلى ما هو أبعد من الطعام والشراب ، إلى ما يشبه ملكوت الله على الأرض ، إلى ظهور الإنسان الجديد المتحرر بالمادة من وطأة المادة ، الـزارع في كل مكان حمى الانعتاق ولما تَصرُّ كذلك .

شيء من هذه الحرية تحقق خارج روسيا كأن من خيرات الثورة خشيتها . **إن كل ضمان اجتماعي ، كائنـاً ما كان مقـدار نجاحـه ، كل انصاف للعامل ، كل تحسس لقضية المظلومين حصل بعد ١٩١٧ كان امتداداً للشيوعية أو تخوفاً منها أي كان في الحالتين بفضلهـا** . كانـت الشيوعية سيف الله المصلت على المستبدين ولا يبدو أنهم ، حتى اليوم ، يستجيبون لغير تهديداتهـا. إن محتـوى الفـكر البشري والكثـير من رصانته نابعـان مبـاشرة من الماركسية بحيث إن عقـل الإنسـان بعـد ماركس قفز قفزة لا مثيل لها قبله في معالجـة الشـأن الراهـن. أهمية ماركس القصوى أنه جعل الإنسان يسعـى سعياً حسياً إلى رفـع نـير

العبودية عن كاهليه وأن يواجه واقع حياته مواجهة مسؤولة لا غياب فيها ولا ارتهان.

سيبقى الكثير من ماركس في كل الأمم في أكثر من نظام وعلى اختلاف التأويل. وستظل الإشتراكية إطار الحكم طويلاً في الاتحاد السوفياتي وما إليه ولو ازدوج الحزب الشيوعي أو تعددت أجنحته. ومع ذلك الهدف الذي من أجله كانت الثورة أي الإنسان في حريته الداخلية وحرية التعبير عنها لم يتحقق. إن التسوية بين مثالية الثورة ونظام الحكم فيها كانت على حساب الحرية وان قيام أدباء في السجون يشير إلى أن قضية الانطلاق إلى كل أبعاد الإنسان لا تزال في المهد. نرجو أن تأتي الذكرى الخمسون بعفو عام لأهل الفكر القابعين في ظلمات الأسر، بإطلاقٍ كاملٍ لحرية الدين تثقيفاً ومعاهد ودعوة وتأليفاً.

الشباب الصاعد الحر الموهوب، المتحسس لمصير الإنسان في أعماقه، غير المندرج حزبياً يبدو اليوم رجاء روسيا. إن هبَّة من هبَّات الروح عاصفة في تلك البلاد العظيمة، ليست موجة تقليدية، بعثُ رُفات. هؤلاء نشأوا في ظل النظام ولكنهم تطلّعوا إلى ما هو أبدي في روسيا، إلى تهجئة الله. لماذا يُخيف الحكم ما هو غير مألوف، ما هو الثورة أن تتجاوز نفسها إلى ما هو نقد لها جذري، إلى ما يزحزحها عن استكانتها، إلى روح السخرية بها، إلى بعض الجحود بها.

بلا ذلك كله يصبح اليوبيل فرحاً بالذات، سروراً بالماضي،

رسوخاً في أن ما كُتب قد كُتب. هل النبوة الجديدة ممكنة في الوحـي الإشتراكي؟ هل مطلق الإنسان أعظم من انجاز الانسان، وتخطي الثورة أهم من الثورة؟ هل سُدَّت كل الطرق دون عودة الله شرعياً ، إذا صح التعبـير، إلى روسيا؟ هذا هو هاجس الأحـرار اللامنتمـين حزبياً إذا فكَّروا اليوم بثورة شاءها أهلها للأحرار.

الأحد ٥ تشرين الثاني ١٩٦٧

ماركسيون ومسيحيون

انتهى ، قبيل الفصح الغربي ، في جنيف لقاء بين ماركسيين ومسيحيين دعا إليه مجلس الكنائس العالمي . الماركسيون شيوعيون أو غير متحزبين جاؤوا من أوربا بالدرجة الأولى ، غربها وشرقها (رومانيا وتشيخوسلوفاكيا فقط) . المسيحيون وفدوا من كل الأقطار ومنها كوبا . لم يكن هذا أول لقاء على الصعيد العالمي . اقليمياً ، صارت الاجتماعات بين هؤلاء وأولئك كثيرة . ومن ثمارها مجلة ستصدر قريباً في باريس ذات إدارة مشتركة .

كان هاجس المؤتمر البحث عن التعاون العملي الممكن بين الفريقين لتكون وسائل الانتاج والتقنية أكثر إنسانية . هل تضخم العمل وسيطرة التقنولوجيا يأخذان من إنسانية الإنسان ؟ **الهم المشترك ألا يفنى الإنسان فيما يصنع ، أن يبقى على صورة الله أو - في لغة أخرى - أن يحقق إنسانيته** . إن هذا السعي الواحد في الحياة العملية كان يلقي المؤتمرين دائماً إلى مواقعهم العقائدية . إنهم لم يحاولوا - كما قد يتصوَّر البعض - إلى تلفيق ، إلى اختلاطية سهلة بين مذهب ومذهب . كل منهما يبقى هو إياه ولكنه يحاول أن يتطلع إلى كل خير قائم عند الآخر

ليتمثله . يوسِّع آفاقه ليصلح نفسه . يحاور لئلّا يرتهن للخوف . يواجه لئلّا يموت في موته فلا يؤدِّي رسالة .

أحس المؤتمرون أن الحوار ممكن مع الإخلاص المذهبي ، أن إلحاد الماركسي لا يحول دون مواجهتي إياه . المراقب الأرثوذكسي الروسي قال إن كنيسته تحيا مع الماركسيين حياة واحدة على الصعيد الاجتماعي . أبى أن يتكلم عن محاورة فكرية وبَدا إحساس على أن المفكرين الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي لا يريدون أية مقابلة عقائدية . بالطبع مثال تشيخوسلوفاكيا منتصب أمامهم مثلما كان مهيمناً على جو المؤتمر . بلد في تحرره يبقى اشتراكياً أو يريد أن يبقى . قد يكون من العسير تحديد الاشتراكية اليوم إيجابياً . ولكن ما أكَّده علماؤها في جنيف أنها نهج وأنه ينبغي أن تظل كذلك . كانوا يلحُّون على أنها ليست عقيدة ، ليست وكأنها شيء ملهَم لا يتغير . قد تكون أوسع مما يُظن ولذلك نشاهد عودة إلى ماركس الشاب . ولعلها أكثر مرونة مما نحتسب ولهذا قال غارودي الفرنسي : لا يهمنا أن نفسِّر ماركس تفسيراً نصِّياً ، أن نتفحص دقائق فكره بقدر ما يهمنا القيام بتحليل مجتمعنا الحديث بالطريقة التي هو حلّل بها بيئته . إنه منارة لا كتاب منزل .

وكان لا بد أن تثار مسألة الصراع الطبقي ومسألة العنف . **وكان من الواضح في الأولى أن المحبة غدت ، لدى كل المؤتمرين ، قيمة .** الصراع يعني تغيير وضع ، إزالة استغلال ولا يعني كراهية . البغضاء

لم يقل عنها أحد إنها وسيلة مُباحة. أما العنف فما قيل عنه إنه ضرورة . ولكنه قد يفرض نفسه وعندئذ وجب حصره ما أمكن الحصر . صورة مارتن لوثر كينغ كانت ماثلة لدى الأذهان وكان الجانب الماركسي يكنّ لها الاجلال . **غير أن العنف لم يلق معارضة من المسيحيين . النقطة المشتركة أن ثمة عنفاً غير دموي لا يقل شراسة عن إهراق الدماء** . الحيلولة دون الحرية ، دون المساهمة في حياة الأمة بسبب من الاستغلال ، دون النمو الشخصي أو الجماعي ماذا يعني ذلك سوى عنف يغلفه رياء تاريخي كبير؟ من ليس ضد هذه كلها ، شهادة مسلك ، أنّى يحق له أن يشكو من الثورة ؟ الثورة هاجس كبير ولكن لم يصل الحضور إلى تحديدها . لقد تراءى للجميع خطرها لأن الحكم مفسد عادة ، لأن الثوريين ليسوا قديسين . كيف يمكن ألا يهترىء الحكم ، ألا يهبط أخلاقياً ؟ الإنسان لا يضمن نجاح ثورة أو قداستها . كل شيء صائر إلى الموت . هذه المخاوف لا تعني لحظة أن يرضخ الإنسان للفوضى القائمة التي أصبحت شرعة مجتمع .

أجل الماركسية ليست مستعدة الآن للتخلي عن جحودها . فقد كتب انطوان كازانوفا مؤخراً في « الأومانيته » ، لسان حال الحزب الفرنسي « أن الماركسية لا تنفصل عن التعبير الفلسفي وقدرات إنسانية هدفها الوحيد في نفسها وفي نفسها تجد وسائل المعرفة والعمل » وتابع الكاتب بتأكيد إلحادها . غير أن السؤال سؤال وجودي : أليس الماركسيون ، بشراً ، متعطشين إلى كلمة الله ؟ من اتصل بأقطابهم في جنيف متأكد من ذلك . والسؤال الذي يليه ، ضرورة ، هو : هل يجب أن يتركوا النهج إذا تابوا عن الجحود ؟ **أليس صحيحاً أن تَبَنّي**

النهج الماركسي في تحليل الأوضاع من قبل المؤمنين يكشف للماركسيين أن تغيير المجتمعات الجذري لا يفترض بالضرورة الإلحاد ؟ المسيحية لا ترافقها المحافظة حتماً . ولكن الواقع التاريخي يجب أن يثبت أن المؤمنين تخلّوا عن النظرة المحافظة للحكم لئلاّ يحذِّرهم التقدميون . كان هذا هاجس بعض الكاثوليك في المؤتمر الذين كانوا أشداء اللهجة على التحكم الاقتصادي وعلى الامبريالية . وكان هذا أو ذاك منهم يظهر إعجاباً بكاسترو وأخلاقية الحكم الكوبي . تقدمية مسيحية أمر كان الماركسيون يرحِّبون به ولكنهم كانوا يمجون المسيحية الباهتة . كانوا أبعد الناس عن التقارب السطحي والمسايرة .

وإذا كان الإنسان بالنهاية هو الحل تجلَّت عظمة المؤتمر في الصفاء . إنسانية مسيحية فكَّت ارتباطاتها بإيديولوجيات القرون الوسطى والإقطاع وسيطرة رأس المال . وماركسيون فيهم من الصدق والدماثة والتقشف ما جعلهم ، طيلة أيام ، والمؤمنين أصحاباً . التلاقي على الموائد ، اللطف في المعاملة ، هاجس الإنسان الآخر طبعت هذا اللقاء في الأعماق. توصية تتعلق بالفيتنام لم يشأ المؤتمرون إقرارها قبل أن يقول مسيحي أميركي إنه غير ممتعض. مفكران شيوعيان أصرًا على إلغاء البلاغ كله لو شعر أحد الحضور أنه مغبون أو مقهور. أممكِنة إذن إنسانية ماركسية بلا غوغائية ولا بغض ؟ الفيلسوف التشيكي ذهب إلى حد القول إننا لا نستطيع أن نضحِّي بالإنسان الحاضر في سبيل إنسان المستقبل . وكان هذا اعتراضاً هائلاً على مناقب ماركس ولينين . تبديل الإنسان القائم أمامي بإنسان لم يظهر بعد سمّاه ماركوفيتش تعالياً بالابدال، ورفضه. إلى أي حد يمكن لهذا الفكر الناهد أن يصبح عمياً

وسلوك قاعدة ؟ ولكن إلى أي حد أيضاً ستصير الأوساط المؤمنة مهتمة بالإنسان حقيقة ؟ أليست ، في الواقع ، تتلهى عن الإنسان بالله وكأن هؤلاء وأولئك متفقون على شيء واحد : العداوة الفعلية بين الله والإنسان .

الحوار ، في آخر المطاف ، هنا وفي أي مجال آخر مشاركة حياة ، تجلِّي إخلاص .

الأحد ٢٨ / نيسان ١٩٦٨



حرية الكافر

إن تحريم « نقد الفكر الديني » وإبعاد صاحبه صادق جلال العظم عن لبنان لمن أخطر الأحداث التي مرّت علينا . السبب أن صادق العظم صدّقت الحكومة على أنه عدو الله وبالتالي عدو لبنان . أليس الله سند الكيان والمسؤولين عن لبنان ؟ هم يقرّرون متى يكون الله في خطر وكأنهم هم أيضاً ذهبوا مذهب صادق العظم من أن الله إلى زوال . لذلك يجب أن يبقى الله في أذهان الذين لا يقرأون . أليس « شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (الأنفال ٢٢) . ويجب بالتالي قتل المرتد ، وفي الثلث الأخير من القرن العشرين تبدل أحكام القتل بالنفي ليكون ذلك أقل إيلاماً وأبلغ تهذيباً . وفي التنزيل الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة ٥٤) . أضاق بمفكر عربي صدر الإسلام **وعلماؤه يعتزون دوماً بما في تاريخه من مفاخر السماحة والجدل الحر** وكنا نحن ، في هذه الزاوية ، قد اتخذنا تلك الرحابة دليلاً على إمكان قيام أمة واحدة تجمع بين المسلمين وغيرهم في بركات السعي الحميد إلى الحقيقة التي تحرر . نود الا يصدم رجاؤنا .

أمّا التهكم بالدين الذي يتخلل الكتاب فلا يستدعي المنع لكونه يضعف حجة الكتاب وينفر المؤمن منه وكان موقف المؤمن أبداً أن ﴿ ذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ﴾ (الأنعام ٧٠) . القول الساخر يضفي على قائله مِسْحَة الخفة .

والكتاب فيه خفة لا بسبب السخرية فقط ولكن على صعيد الفكر الفلسفي والمنطق وهو مطبوع ، هنا وثمة ، بقلة الاطلاع على التراث الديني . إنه يحكم بِلَمحةٍ خاطفة وتسرعٍ غريب على موضوع المعجزات والمنهجية اللاهوتية وعلاقة العلم والدين والفكر المسيحي المعاصر ويدين النيّات التي يراها وراء الحوار الإسلامي المسيحي ويبسّط كثرة من الأمور وكأنه لم يقرأ شيئاً مما قيل عن هذه الموضوعات . ومع ذلك كله فالكتاب يحتوي على تحدّيات كثيرة تستحق المجابهة بالروح العلمية التي شاءها المؤلّف سلاحه ولو لم يوفّق دائماً بالوقوف عندها .

وبعض من هذه التحدّيات لا تزال قائمة ولو لم يذكرها العظم وإنها لقائمة في أذهان مئات من المؤمنين وغير المؤمنين . ولا يكون الجواب عنها بتكفير الناس واحتسابهم زنادقة . ﴿ الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ (الحج ٦٩) . وكان فضل العظم الشجاعة . وكان من شأن شجاعته أن يثير عند المؤمنين بعامة والمسلمين بخاصة فكراً عصرياً خلاّقاً يستهلّون به تفسيراً جديداً واجتهاداً جديداً . **فمن حق الناس على المسلمين أن يحاجوهم ومن حق من صار دكتوراً في الفلسفة، بعد نشوئه على فطرة الإسلام، أن يسأل**

قومه المحافظين حجتهم وأن يأتوا ببرهانهم إن كانوا صادقين. ومن حق العظم أن يحيا بعد أن أوقفت الدول الإسلامية أحكام الشرع المتعلقة بجلد الزاني والزانية وقطع أيدي السارق والسارقة. وعلى مفكري الإسلام أن يثبتوا أنهم أقوى من محاكم الجزاء وأفعل في إخوانهم من ماركسية هذا الدمشقي المتمرّد. ولا يجوز بعد اليوم التحدّث عن حرية الفكر في التاريخ الإسلامي إذا كنا عاجزين عن إحياء هذا القديم. ففي الماضي غث وثمين. ولكن الحقيقة التي نعلنها اليوم بمحبة وتواضع قادرة وحدها على افتداء ما في الماضي من سيّئات. **ولعلّ العكوف على ما سلف والتغني به من شأنهما أن يسترا خوفنا اليوم من كل جديد.**

غلطة كبرى كانت أن زُج صادق العظم في صف الشهداء. هذا يزيد الملحدين حجة في أنهم هم وحدهم دعاة الحرية. إذن، إذا قال بالحرية الفكرية المؤمنون فلكونهم يريدونها لأنفسهم في الأنظمة الملحدة. وإذا حكموا هم - كما هي الحال عندنا - فإنهم لا يساوون بين القوم وقد قيل لهم: ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ (الأنعام ١٥٢).

ومما لا ريب فيه أن قضية صادق جلال العظم قضية كل لبناني، فقد خرجت عن إطار طائفة من الطوائف. ولا يقبل إلاّ الاذِلَّةُ أن نطيِّفها ونجعلها جزءاً من اللعبة اللبنانية بحيث يجامل أحدنا الآخر ونقيم الوحدة الوطنية على جثث الملحدين أو على محرقات كتبهم. **صادق جلال العظم مصلوب على خشبة الحرية. إذن نحن معه.** إن

إلهنا لم يكن يوماً قاضياً في محاكم التفتيش ولكنه حليف « المستضعفين في الأرض » . قد يصبح المؤمنون يوماً من المستضعفين والاذلة إذا حَكَمَ صادق العظم ورفقاؤه البلد . ولكن لن نسجّل على أنفسنا أننا زجرنا ، باسم الله ، أخاً كريماً في العقاب .

غداً وبعد غد سيقرأ الناس ردوداً على هذا الكتاب . سيتكاثر سلاّخوه. الأمر هان على الناس بغيابه وفقدان الكتاب وحماية النيابة العامة . أدب كهذا يُكتب بعد التحريم ليس فيه شيء من الرجولة . ونرجو ألاّ تطول المأساة وأن يُثبتَ الإسلام ، بتسامح غير كلامي ، أنه قادر على احتمال الأذى وأنه مؤمن بنفسه وانفتاحه وصموده . المسلمون ، لا الحكومة ، المسلمون المؤمنون بربهّم قادرون بما أوتوه من علم وسكينة أن يعيدوا إلى صادق جلال العظم كرامته . عند ذاك سنسمح لأنفسنا بالرد عليه ونوفيه بآن معاً حقه . في كتاب رافض يستطيع المؤمن أن يرى أضواء الله ، « نور السماوات والأرض » . وفي لطف العابدين إذا عَقِلوا يستطيع الدكتور العظم وأنصاره أن يستَجْلوا حقيقة إله غابت عنهم معالمها .

الأحد ٢١ كانون الأول ١٩٦٩

الفصل الثالث

أعياد ونجاوى



الفصح

مشكلة المشاكل لماذا يتألم البار ، تتطارحها الانسانية منذ وجدت وبلغت أوج حدتها في سفر أيوب . ضربة هذا الرجل البرىء جعلته في حيرة لم تحل حتى جاء صديق الناصرة وقال للبشرية: آلامك نتيجة شر وخطيئة . ولكن لا جدوى في بحث حدود الشر . الألم وجـود يحز والخطيئة في كل طيات الكيان. الدواء الشافي ليس في التنقيب عن أصل الخطيئة فيما وراء الطبيعة . هذا متروك للفلاسفة . أما المؤمن فيكفيه ان يخلص من وطأة الشر ويتحرر من عبوديته .

الجواب عن سؤال أيوب أتى لا الى عقل حائر بل الى صميم وجود يتمزق . كان الجواب عن مشكلة الألم ان الله نفسه تبناه . أُدميَ الله على الجلجلة . صار « رجل أوجاع ومتمرساً بالعاهات وحمل أوجاعنا. أفاض للموت نفسه واحصي مع العصاة » . فاذا انا تألمت ومت فانما نصيبي ما كان نصيبَ ابن الانسان. انا شريك الذبيح الاكبر وأوجاعي هذه حملها هو مرة على الخشبة . حملها لأنـه أحبني وأحبني على ذنوبي . ولكونه أحبني حتى النهاية أخذ على نفسه كل معاصيّ واعطاني كل بره. ذلك الذي أصير اليه كلما أبغضت اثمي وارتقيت في المحبة . أوجـاعي صارت منذ الآن انطلاقة تجلٍ ، نقطة ارتفاع ، قيامة . الآلام عار ؟

الصليب ذل ؟ صحيح . ولكن هذا الصليب لما حمله ابن الانسان أضحى عرشاً سماوياً له ولكل من يحمله معه . كل ظفر المسيح تم في الموت لأن المحبة ظافرة الى الابد . لان الرب نفسه انتزع شوكة الموت لما اقتبله فانفجرت في نطاق الموت حياةٌ مُحَقَّقَتْهُ .

وهكذا ان نلنا من المصلوب حياة سنُبعث من القبور وننشل الآن من القلق. وبعد ان ضاق القبر بالمسيح الحي فأطلقه زعيماً لكل انتصار روحي ، غدونا من خلال فصحه ننظر الى كل مآسينا فنعمدها بنور . الحياة الروحية الآن ليست بوعد . انها حقيقة معنا . « الاشياء العتيقة قد مضت ، هوذا كل شيء قد صار جديداً » . بات الانسان موقناً ان موته ليس نهائياً ، انه لن يفنى في الاهتراء الروحي ، ان ماضيه ليس حاسماً. أضحى مدركاً بأنه قادر ان يطأ الشر وبأن الارض قد صارت ميراثاً للودعاء .

الاحد ٢٩ نيسان ١٩٦٢

في مثل هذا الأحد

« مبارك الآتي باسم الرب » . كان هذا هتاف اليهود للمسيح لمّـا دخل القدس راكباً على جحش في طريقه الى الآلام . ومـا يعنينا من الأمر هنا ، ان السيد تنكـّر للسيادة الزمنية التي أرادوها له . وقـد امتطى الحمار لا الفرس لكي لا يظهر كالملوك . ومع ذلك كان ملكاً وقد احتلّ القلوب جيلاً بعد جيل مثلما لم يتوفر لانسان . لقد أُحيط غيره باجلال وإكرام وتقدير . ولكنّ واحداً لم يعشقه أتباعه وغير أتباعه مثلما عشق الناصري . فبصرف النظر عن الايمان به او عدم الايمان ، بدا للانسانية في منتهى التواضع واقترن اسمه بالرفق واللطف وما اليهما حتى يخيّل اليك ان قبساً من المسيح كان في كل نفس دعت بعده الى المحبة .

وما يقترن باسمه الى الأبد قوله بأن السيف يجب أن يردّ الى غمده واعتقاده بأن في الوداعة قوة أمضى من كل سلاح . وليس رفضه للسيف رفضاً للعنف وحسب بل تنكـّر لكل تسلـّط واكراه ، لكل سلب للحريّة والضغط على النفوس في تفتقها . هذا الذي جابه مليك بلاده وسمّاه ثعلباً وواجه الوالي الأجنبي ولم يجبه عـن سؤال ، الذي كان بسلطان الكلمة وهيبة القداسة يقاوم وحده رؤساء شعبه ، بأشد لهجة

عرفها الناس ، يساق الى الذبح والفدية ، بسبب اعلانــه للحق وفهمه الروحاني لكتاب الله .

وان كان له ولحادثة الشعانين من وعظ لمريديه فهي أن الخوف ليس من شيم الرجال وان الحياة مجابهة لأوضاع تنقلب ولأحـداث تطرأ . والرجل الرجل هو العارف ان قوة روحه وصبرها واباءها هي القادرة على اقتحام المصاعب لانها تطلّ على الحدث من علُ وتشرف عليه اشراف الله مستقلة عنه مكيفة له بالمعالجة والالتزام . ما كان المسيح يخشى ان يكون وحيداً ولم يعط للعدد قيمة طالما حسب انه سيهدي الدنيا اليه بأثني عشر تلميذاً . ان الوداعة لا تتوفـّر الا للأقـوياء ، والعنف شيمة الضعفاء أبداً ، ذلك لان من لم يعرف ان يسود نفسه يحاول سيادة الناس بالغضب والشدة .

وما قد يقوله السيد المسيح لبعض من أتباعه ، في وضح الشعانين ، هو ان من مارس السلطة الروحية على الرعية يجرّب بممارسة سلطة زمنية معها . واذا فعل يكون قد تخلـّى عن ايمانه بفاعلية الحياة الروحية ويكون قد تنازل عن ثقته بالانسان الذي يأسره اللطف وينفره البأس . وما قد نتمتـّع به من سيادة في الزمنيـّات انما نكون قد سلبناه الذين تولوها أصلاً . وقد أُعطي هذا النفوذ لرجال الدين ، في بعض حقبات التاريخ ، لاعتقاد الناس انهم خـير الناس واذا بالسحر ينقلب على الساحر واذا بالكاهن غير رجل دين وغير رجل دنيا .

واذا كانت الشعانين تعني شيئاً فانما تعني قبل كل شيء ألاّ تكون الكنيسة المسيحية حليفة هيرودوس أو بيلاطس أو الفريسيين . وانها متخاذلة الى الأبد ، غير مؤمنة بذاتها ودعوتها ومصيرهـــا ، ان هي

احتسبت ان حلفها مع الاغنياء، وعظماء الارض حلف مفيد. وفي ظنّها انها تمدّ بهم نفوذها واذا هي لهم مطية لانّ نفوذها، قال لها الراكب على الجحش ، انه بتواضعها وخدمتها ، وان سلطانها الوحيد بتناسي هذا السلطان وأن قوّتها بالكفّ عن استعمال القوة ، واحتقار القوة. وقيل لها ان هذه الوداعة انما تقود صاحبها الى الموت . ولكن قيل لها أيضاً ان الموت طريق القيامة .

الاحد ٧ نيسان ١٩٦٣



انبعاث المسيح

هذه الذكرى ذات الشقّين موت المسيح وقيامته من الموت هي فصح النصارى . والفصح ، في العبرية ، يدل على العبور . وقد أرادت المسيحية بتبنّيها اللفظة ان موت السيد كان طريق المجد وان صليبه أداة انبعاثه . والذي لا يعرف هذا التلازم بينهما لا يدرك الرسالة المسيحية الاّ مسكنة وذلاً . ذلك لأنه يرى الشق الاول فقط أعني الموت . ولعلّ كثرة من المسيحيين كانوا أقرب الى روحيّة التمسكن المؤذي منهم الى روحية الظفر ، وبرروا بسلوك وضيع ، صرخة نيتشه : « أروني انكم مخلَّصون لأؤمن بمخلصكم » . ولكنّ الذي يعرف ان الجلجلة متاخمة للقبر ، في المدى وفي الفكر ، وان القبر الذي يُحَج اليه انما هو قبر فارغ ، يدرك ان ذبيحة السيد كانت درباً للفدية وان العار الذي تحمله صار سبيلاً للرفعة .

وليس المقصود بالقيامة ، في النصرانية ، خروج المسيح من القبر وحسب ، ولكن اعتقادها ان الالم المرتضى من أجل الحق ، في كل يوم وظرف ، هو انفتاحنا الى الخلاص .

ان يتقبّل الانسان صبغة المعلم ، بالماء والروح ، هو بالضبط ان يميت

الخطيئة لكي يحيا من جديد . ان يرسم ، في ذاته ، تلك الطريقةالقديمة التي خطّها أمامه من انبعث بعد كمال البذل وعاش الى الأبد في نقاوة الضمائر ، فكأنه يقول ان سبيل التواضع والبساطة والعفة والاخلاص سبيل لا يترك فينا خطأ دفيناً . فاذا لاشت هذه الفضائل أهواءنا كان القلب مكمن الله ومبعث الله .

صحيح ان تمرّد المسيحيين على ربهم واخفاقهم وصغارتهم حجبت حقيقة المسيح عن القسم الأكبر من الانسانية ، ومع ذلك بهاء الناصري في هذا العيد يذيب كل تشويه وهو بجد نفسه دعوة للحب المعطاء .

في صبيحة هذا الاحد الأمجد لا يبقى في النفس أثر للحقد لان صبغةالنور تغمر الكون منأطرافه الى أطرافه.وبهذه الصبغةالطوعية، ليس أحد ، فيما بعد ، مطمور أنانيته ولا يتسكع أحد في مذلة ، ولو أرادوها له ، لأن المسيح اتخذ على عاتقه كل عار ليمحو العار عن جبين الناس وَتقبّل الالم لئلا يطأنا الالم ونكون في تجدد لا ينتهي .

أمام صورة المخلص يعرف ذو الخبرة العميقة انه ان كان من أمر يستحق ان نتعاطاه هو ان نشتري الفرح بذبح الأثم ، والحياة ببذل الحياة .

الاحد ١٤ نيسان ١٩٦٣

نحو الأسبوع العظيم

المشارقة من تلاميذك سيرافقون آلامك المباركـة بضعة أيام أيها المعلم . والحق انك الرفيق في الغم والتأوه ، لانك مصلوب على كل أنة وطريح كل جرح . أنت الصلة بين الموت والحياة لأنك الحياة. ولا يعني هذا انك واهبها للثاوين في القبور وحسب ولكنك أياها في بسمة الجريح وبصيرة الكفيف ، في الفرح الذي تغدقه على النفس بعد ملل أو تعب أو انهيار .

في هذا الاحد، الذي ينكشف فيه لنا بدء اختبارك العظيم ، عِبرتـُك الى الأجيال انك ، بركوبك الجحش في سبيلك الى أورشليم ، سحقت الى الابد كبرياءنا. نحن اذا أسكرنا المجد أو تسرّبت التفاهات الى عيشنا حسـْبـُنا نظرة الى سر خفائك لتتلاشى فينا الأباطيل . محقت كل هذا دفعة واحدة عندما أدرك الملوك جميعاً انك متمتع بملك لا ينازعك فيه سلطان وانه من أجل اسمك ماتت وتموت آلاف من الناس طوعـاً وحباً . وكأنك ، في آن واحد، فاضح للزائلات وموجّه الى اليقين. من أجل هذا نخشاك كلما سعينا الى المتعة والى المؤقت والى ذلك الذي يميع اذا ما أطلّ عليه نورك العجيب .

وفوق كل تبصر وكل حكمة أنت سيد الغفران . وان عطفك يتدفق بلا حدّ على الخاطىء حتى تجعله متعشقاً للطهر بقــــدر ما كان متعشقاً لأرجاسه . والمذهل فيك أنك تمنعت عن الدينونة وانت تقرأ النفس كما نقرأ نحن الكتاب ولك بسبب ذلك حق الادانة . غير انك جئت بهذا الامر المدهش ان الحقيقة الكبرى تتجاوز المحاكمة وان العدل الاقصى الذي يستحقه الانسان ، كل انسان ، هو المحبة .

فرادتك في تاريخ الحياة الروحية في سر هذا الامحاء . نحن نحب ان نبقى في ذكرى الآخرين . ليس واحد منّا يطيق حياة هو متأكد ان واحداً فيها لا يحبه . ولكننا سنزول من حافظة أقرب المقرّبين الينا اشهراً او سنوات بعد موتنا . قد يظل اسمنا طويلاً ولكن الحب لــن يبقى . وامّا انت الذي نظرت في اتجاهين فقط ، صوب الآب وصوب الضعيف ، فباقٍ الى الابد لا صورة وحسب بل معشوق كل نفس ، على دينك كانت ام على غيره ، ان كان في هذه النفس اثر للتواضع .

أأدركوا القمر أم لم يدركوا ليست هذه هي المسألة. ولكن «هناك أرض الاحياء وهناك أرض الاموات والجسر هو المحبة . هو وحــده الباقي ، وحده المعنى » (ثورنتون ويلدر) .

باريس ـ الاحد ٢٦ نيسان ١٩٦٤

الشياطين

تسترعي انتباهنا الكتب المقدسة بواقعيتها و كأنك لا تستطيع ان تزيد على وصفها المعصية شيئاً . « استبدلوا حق الله بالكذب » فأنهم « بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة » . واحدة من مئات . الانسان في شقائه رآه الله وتحدث عنه . مخلوق مسخ هذا الانسان . يصير الى ما لا اسم له ولا صورة و كأنه في انطوائه على نفسه، في تعشق الذات ، ينطفىء . ليس فقط يصل الى النتانة بل يفقد حس الخير الى درجة جعلت أحد القدامى يتساءل ان كان مِنْ بشرٍ على صورة الشيطان .

صورة الشيطان ؟ وصفه الانجيل على انه الكذوب . حذقه في الكذب ان البشر يصدقونه . الاغراء يخفي الخديعة . الكذاب لا ثقة للناس به . يشبه الشيطان بشيء واحد ظنه انه ذكي ولكن ابليس يخشى طائفة الابرار القليلة لأن بساطة الرؤية عندها تفضح ألاعيبه . واذا كان في العالم شخص واحد يدرك حيل جهنم فهذا يعني ان الشر لم يصل بعد الى الغلبة وانه ، آجلاً أم عاجلاً ، الى زوال .

بالنهاية ، الشيطان بلا فهم . وهو كذلك لانه بلا عهد ولا حنو ولا

رضى . الحس الخلقي عنصر من عناصر الذكاء . في آخر المطاف « الله خير الماكرين » لانه أذكى ولان لمكر البشر حدّاً هو القبر ، وحدّاً أفعل من القبر وأفتك هو لعنة الناس . شرّ الكذابين ليس في الكذب وحسب ، ولكنه في هذه المرارة التي يبعثونها في نفوس الصابرين . انه في بصاق الصابرين على جيفهم . أمام وباء المكر شيمة الطاهرين الا يقنطوا ، ان يعتصموا بالشكر والفرح ، الا يميتهم الصراخ والتأوه اذ لا بدّ لهم ان يتمزّقوا وفيهم من العهد والرضى الشيء الكثير .

شهادتهم وحدها عرقلة للماكرين وتشتيت لشملهم . وأسلحة البر التي يستعملون يهزأ الاشرار بفعلها وينامون مطمئنّين الى دجلهم واذا بكل ما حاكوا هباء . قبضة يسيرة من فقراء أنقياء تخلّص العالم .

ولكن تجربة القلة الطيبة من الناس وجودها أمام فعالية الاشرار وتآمرهم. ازاء اضطراب الخيّرين قال واحد قديماً: «انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجل المجري مكايد ... لا تغر لفعل الشر لان عاملي الشر يقطعون... أما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون في كثرة السلامة » .

على قدر ما يثق الخيّرون بفاعليّة ايمانهم تتداعى مشاريع الضلالة. ولكن يقظة الصلاح لا تكفي. يجب ان تُقرن بالحكمة والتدبير ووحدة الصف ومثابرة لا تحد متى يرتد أصحاب الكيد عن غيهم ويهتدوا .

الاحد ٧ حزيران ١٩٦٤

الفصح

هذه هي قصة الفصح : خُلِقَ الانسان في نعيم واحتال الشيطان عليه فعصا ، فأخرجه اثمه من جنة كان فيها أليف ربه فصار الشقاء حليفه . والشقاء ألم وخطيئة فموت . فأخذ الانسان يحن الى الفردوس المفقود . ولكن اشواقه لم تكن سوى مطلات على سلام اضاعه . لم تكن هي ملكوت السلام .

لم يكن لدى الانسان قدرة على اجتياز هذه الهوة التي اقامها بينه وبين ضالّته . « كل بشر عشب وكل مجده كزهر الصحراء» .وفي ذروة حسه يقول : « انا دودة ولست انساناً » . الرجعة الى الله بحيث تزول الخطيئة والالم والموت تتعدى امكانات هذا الكيان الملطخ ، الهزيل . فكانت لله محاولات شتى لافتقاد الانسان . انار عقله فلم يصل العقل اليه ثم جاء بالشريعة فلم تهده ولكنها فضحت ذنبه وكشفت له عجزه . ثم كانت النبوة ابعد أثراً من الناموس وكادت ان تكون صلة الوصل . ولكنها ، على قوتها ، لم تكن بالنهاية سوى كلمة مرسَلة ، امر يُقاوَم.

ظل القلب البشري متحيراً حتى لم يترك الله له مجال الحيرة . فقال الله : اذا كان الانسان لا يفهم بالشرائع والكتب فسأصير له انا بنفسي

كتاباً وسنّة . سأخطب وده . سأغريه بالحب . اذا نزلتُ اليه انساناً مثله . لن أظهر له بالرعد والقسوة . لن أكون هذه المرة مؤذياً ولاديّاناً لئلا يرهبني ويدّعي انني اغتصبت حريتة اغتصاباً وفرضت عليه الوهتي فرضاً . فأطرح نفسي بين يديه طفلاً يستطيع اي ملك ابله ان يخنقه . سأذوق ما ذاق : انسانيته في تجاربها حتى ثمالة الموت . لا استطيع ان اخطىء ولكني سأُحصى مع الاثمة . سأحمل في كياني كله خطيئة كل انسان . سأكون بالضبط كما اوحيت الى اعظم نبي : « كجرثومة من ارض قاحلة لا صورة له ولا بهاء فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه . مزدرى ومخذول من الناس ، رجل اوجاع ومتمرّس بالعاهات ومثل ساتر وجهه عنا ... انه لقد اخذ عاهاتنا وحمل أوجاعنا فحسبناه ذا برص مضروباً من الله ومذللاً . جُرح لاجل معاصينا وسُحق لاجل آثامنا ... كشاة سيق الى الذبح وكحمل صامت امام الذين يجزونه ، ولم يفتح فاه » . (اشعياء) .

سيكلل الصليب اطهر حياة عيشت على الارض . قُضيت ببساطة الله وكثافة الله . واذا فتش الناس عن اخلاق على الارض يصفون بها الله لن يجدوا أرفع من اخلاق الناصري . سيتدرجون من اجمل سيرة ليتحققوا على صداها صحة التعليم .

ولكن الصليب نفسه ليس آخر المطاف .. « لماذا تطلبن الحيّ بين الاموات . انه ليس ههنا لكنه قد قام » . مـــن هنا انطلق الفصح والمسيحية معه . « ان كان المسيح لم يقم فايمانكم باطل وانتم بعـد في خطاياكم » . في هذه الليلة الذين يؤمنون بأن الحياة قد انطلقت من قبر فجر قيامة سيقبّلون بعضهم بعضاً قائلين : المسيح قام . عبارة تتضمن الايمان المطلق بأن المحبة هي القيمة الوحيدة في الكون وبأننا لا نزال في فراغ الاشواق حتى نتقبل نعمة الله مجاناً . الفصح هو الاعتقاد الكامل

بأن كل شرع وكل محاولة حضارية وكل مسعى بشري صائرة بالنهاية الى العدم ما لم يشمل تواضع المسيح ولطفه قلوب البشر .

والفصح يعني ان المسيح وهو القيامة والحياة قد طرق لكل ذي جسد القيامة من الموت . « قام المسيح وليس من ميت في القبور » . مَن أطلت عليه انوار السيد الظافر لن يبقى اسير شقاء ولا مرمياً في وحشة الالم . فالمسيح في سر تواضعه رفيق اوجاعنا كلها والمسيح في ظفره رجاؤنا الابدي .

الفصح ١٠ نيسان ١٩٦٦



خواطر في التجلي

« وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه الى جبل عال على انفراد وتجلى قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج » .

كانت جبالنا أمس منائر تعييداً لهذا الحدث . من كان من الجماعة أليف السيد اصطحبه ليستدرجه الى سره . البقية لم تكن بصائرهم مكوّنة ليلتقطوا النور . ان الذي يرافق الله الى العلى يتدفق النور عليه سيلاً . وأما من ظل أسير الدنيا ونفسه فتعج فيه ضوضاء تحول دون سماعه همسات الرب. الذي ينفرد عن شهوته ويطرح عنه شواغل الفانية ، من أدرك الحرية فقد وصل الى المرتفعات التي تكشف له ذلك النور الذي لا يدانيه انسان ما دام على ترابيته.بسبب من هذا ما كانت الذكرى اليوم للجميع نافعة . فقد بقي الكثيرون ملاصقين الأرض ، غير منتقلين الى الجبال ، سجناء رغائب تلحّ ومرارة تتلظى ، طريحي الليل اذا يغشى .

عند الذروة ، فوق ثابور أو حرمون ، وما همنا والمكان ؟ تجلى المسيح أمام أتباعه الثلاثة . لم يكن ذلك في المسيح معجزة لأنّ النور

جلبابه الدائم أظهره للتلاميذ « بحسب ما استطاعوا » وكانوا قبل ذلك عن الرؤية عاجزين . لم يكن في التجلي من جديد الا بالنسبة للرسل . لقد اقتيدوا ، بتنازل المخلص ، الى نور فيه كان عنهم محجوباً . فلما دخلت الحقيقة الى قلوبهم عاينوا على وجهه الشمس وعلى ثيابه النصوع . فالنهار الذي صاروا هم اليه أظهر ضياء المسيح تمام الظهور . « والنهار اذا تجلى » (سورة الليل) .لم يصبح المسيح نورنا العقلي بل كانه وعرف الذين كانوا معه في الجبل المقدس « انه مصباح يضيء في مكان مظلم الى ان ينفجر النهار ويشرق كوكب الصبح في القلوب » .

لم يتغير فيك شيء على جبل التجلي أيها الحبيب لأنك أنت الكائن من الأزل والى الأبد ولكنك أظهرت في ذاتك جمالنا . لم تستحلْ غير انك أشرت الى استحالة البشر وان صيرورتهم الى المجد .

كلمات أضحت غريبة عن أذني الانسان المعاصر . انه يتكلم دائماً عن قلقه كأنّ القلق جديد ، كأنّ أمهات الأجيال كلها لم تجزع على أولادهن . انسان اليوم لا يريد ان يتعزى اذ ينسى بالتعزية نفسه . ولكن اذا ضاقت الدنيا في عينيه وتأزمت حاله يستطيع دائماً أن يستبكيك على نفسه ، ان يزعج خاطرك بقضاياه ، ان يلهيك بمراهقته الدائمة . يقدر دائماً أن يبقى أديباً . ولكن اذا صار الى النور والسلام، ان أدرك البساطة، اذا رأى « نهر ماء الحياة صافياً كالبلور» فقد تفوته فرصة التأدب والتمسرح والكلمات الموترة . اذا تقدّس وخمدت شهوته فليس عنده مادة للشعر . البررة ليس الكلام همهم. المخاطبة عندهم ثمرة ما يتناولون من ربهم . انهم غرباء من الاسلوب وطربه عما يلمع ويبهر. حسبهم ما يرون من جمال الله والاستحالة التي تتم فيهم وتصبح لربهم قرباناً وللناس هدى .

ليس التجلي ينسينا الألم . فأثناءه كان المسيح يتحدث الى موسى وايليا عن موته . أي لم يُخلق الانسان للموت ، للبقاء فيه ، لاستطابة الحديث عنه وعن الحب . ولكن جعل الانسان لتجاوز كل موت الى النور والبعث ، لكي يكون جميلاً .

القلق فقط امكان طمأنينة ، طمأنينة عرفت الجراح فوعت ثمن نفسها . ديانة الناصري لا تقف عند الصليب ، تعبره الى فجر القيامة .

الاحد ٧ آب ١٩٦٦



الملكوت والولد

في حياة المسيح حادثة يظن كل الناس انهم ادركوا عمقها بسبب بساطتها ، عنيت بركة السيد للاطفال حيث قال : « دعوا الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت الله » . والحق ان يسوع ، بهذه العبارة ، يبارك الاطفال لكونهم صورة عن الذين يشبهونهم . فرواية لوقا تسرد بقية قوله : « الحق اقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » . فالكتاب لا يشير الى حظوة خاصة للصغار عند ربهم ولكنه يغبّط ذاك الذي يستطيع ان يصبح نظيرهم . طهارة الاطفال ليست لها علاقة بهذا القول . والانجيل لا يؤمن بهذه البراءة اللامسؤولة اللاواعية المجردة عن خلوص النية . الفساد كامن وراء تصرفات الولد ولكنه لا يُحسب عليه لانه لم يتبنه . الولد بريء لعدم ادراكه ، لعدم نموه . وهذا امر لا قيمة له ادبية . نتخذه فقط صورة عما يجب ان نكونه بعد نمو وادراك .

فالمقارنة بيننا وبين الاطفال هي ان نكون ، بعد وعي ، ما يكونونه في قصرهم تلقائياً . ميزتهم البساطة التي تجعل علاقاتهم بالغير مباشرة لا لفّ فيها ولا دوران ولا تعقيد ولا حذر . الطفل يخشى البالغ او يحبه ولكنه اذا احب لا يحيطه بهالة ، يكلمه بصيغة المخاطب المفرد كما يكلم

الرفيق رفيقه دون كلفة ولا القاب وكأن الحقيقة التي يحملها الولد يجب ان تنتقل فوراً الى سامعيه . أثمة حقيقة للكبار واخرى للصغار ؟

صلة القلب امر منسي عندنا لاننا نحتسب انفسنا عقلاء ونؤمن بتفوقنا على الذين لا يعلمون لمجرد اننا نعلم . والحق ان المعرفة الوحيدة التي تستحق ان نعنى بها هي اننا لا نفوق احداً .

ان فقدان البساطة البلورية العظيمة ناتج عن الخوف من الآخرين . الذكاء نوع من حماية النفس من الاذى . ولكن الذي لا يعرف ان له ما يحميه ، الذي لا يحتسب ان الغير قادر على اذيته فهذا يكشف نفسه كما هي . لا احد يتأذى ما لم يرضخ للاذى . ولذلك البسيط القلب هو ذلك الذي يرى ان الله وحده قادر ان يغضب عليه وان يرضى عند ذاك لا يثقل بوجود الآخرين ولا يتزعزع لتآمرهم عليه . واذا واجههم بشجاعة فضيلته هذه تتلاشى خططهم جميعاً لانهم لم يعدوها لمثل هذا الطفل .

والبسيط جديد لانه لا يحتسب انه كان سديد الرأي ، وجيهه في الماضي . الحياة عنده ليست كنوزاً تتراكم بل ينبوع يفيض الآن نعمة . لذلك لا شيء مما مضى يكبله . انه مرهون فقط للحقيقة الآتية اليه وكأنها خلق لم يكن مثله شيء . انه انسان الامور التي لا تتكرر ، انسان هذا الخط السائر صعداً الى آفاق التجلي . هو على صورة الفنان الذي لا يرسم اللوحة مرتين لان عينه دائماً جديدة وهي التي تجعل موضوعه ابداً جديداً . انه دائماً هين على المرء ان يرى الاشياء متشابهة . فالانسان عتيق لانه اليف عتاقته ، لان الرؤية الصافية للواقع تكلفنا الثورة على العادة ، توثباً مستمراً للمحافظة على اليقظة . مشكلة المعقدين انهم لا ينسون لان الذاكرة عنصر من عناصر هذا الذكاء الذي يسعون للظهور به . واذا لم يتظاهروا يتبددون لانهم قائمون فقط في اذهان الناس .

اما البسيط فيتجدد على صورة خالقه اي انه يكتسب معرفة من رب لا يراه قديم الايام بل هو دائماً بالنسبة اليه البراءة. ربه في هذا الآن الذي طرح فيه الخوف. آن مخلصه يفسر بساطته وجدته. هذا بالضبط الاله الحي الذي يكون كل لحظة وكأنه لم يكن قبلاً. انه يضفي على البصيرة جدته فترى الآخرين ايضاً كأنهم خُلقوا اللحظة، كأنهم قادرون، بنعمة ربهم ، ان يستحيلوا اليه.

الاحد ٢٥ أيلول ١٩٦٦



في فَجر الفصح

أحاول رفع نفسي إليك ياسيدي ولا أستطيع . المرة تلو المرة أخالني تينة يابسة . لاتلعنِ التينة يارب . الاخفاق بعد الاخفاق ، تراكم الخطايا ، الإنجرار إلى الموت ، هذه كلها ستتجاوزها فيّ وكأنها لم تكن لأن فيض نورك ، عند فجر الفصح ، سيتأكل كل ضعف ويظفر بكل تهاون . وكلّما تقادم الزمان علي أكتشف فيّ النتانة ، فساد التفتيش عن نفسي. فإني لا أريد أن أضيع وأن ينساني أحد . أن أوجد وأن أتضخم ، أن أعلن التعبئة العامة في سبيل أناي ، بهذه ألقاك ، يا سيد ، قبيل انبعاثك العظيم وكأني فيها دفين حتّى منتهى العمر .

ولكنك ستدحرج الحجر وتطفر من الرمس إلى هذا المجد الأكبر الذي تربعت فيه إلى الأبد. هذه البشرية اللاهبة بشهواتها ، المتسكعة في حب ذاتها ، الرازحة تحت فشلها الدائم ، المدحورة إلى اللاشيء قرّبتها ، يا سيد ، إليك ووعدتها بالقيامة من كل هزيمة إذا ما دنت إلى عتبات رحمتك .

جئتَ إلى وسط أنينها لتقول لها انكَ اتخذته وصرت رجل

الأوجاع . صورتك على الدوام أمامنا صورة النازف المعصب بشوك . جئت تقول : ذهبتِ الأوجاع ، ذهبت ولن تعود . فالخطيئة تمحى ولن تذكر . سيُعتق الإنسان من الفساد . ستأتي ساعة ، وهي الآن حاضرة ، حيث يتدحرج كل حجر عن كل قبر ويطلع الناس من عتمة قلوبهم إلى دفقات النور . لن يندحر أحد لأني أمد يدي إلى المُخفِق والمهزوم والموحَش، إلى من يعاني المللَ واليأس لكي يتحول الاخفاق تواضعاً وتصير الهزيمة حسا بانتصار الله والعزلةُ سبيلا إلى الفرج الإلهي . سينقلب الضجر تذوقاً لنعمة تتجدد ويصبح اليأس المرحلة الأولى من مراحل الرجاء . ستشمل القيامة ، في فرحها ولطفها ، كل معذب ومغموم ويمسح الله من أعين هؤلاء كل دمعة .

إن قيامتك ، منذ أن كانت ، شاملة لكل آن وإن الحل الوحيد لما نتخبط فيه من آلام أنها تندمج بآلامك الطاهرة فتبتلع قيامتك هذه وتلك معاً. قد نتخطى التجارب وعند ذاك نحن في إختبار عميق لغلبتك . وقد نعود إلى خطايانا ، يوماً بعد يوم ، كما يعود الكلب إلى قيئه ونختبر ، عندئذ، أنك راحضٌ الأدناسَ جميعاً فنعرف إنبعاثك قوةً للغفران . ومع ذلك هؤلاء الذين أدركوك في الدنيا وكأنهم في قداسة مقيمة يؤمنون ، مع النبي ، أن برّهم أمامك كخرقة نجسة وأننا جميعاً واصلون لأنك تخرج من باب الفردوس إلى العتبة لتدخلنا إليه وراءك في موكب الظفر .

الأحد ٢ ايار ١٩٦٤

في خطى المسيح

بضع عشرات اجتمعوا من أقاصي الأرض وأمُّوا القدس الأحدَ الماضي . أرادوا التلاقي عند الينبوع وجامعتُهم الوحيدة إخلاصهم لواحد عاش على تلك الأرض ومات عليها وقُبر وقام على عهد بيلاطس البنطي الوالي .

لم تكن بينهم رابطة لسان ومع ذلك لما انتهوا إلى المكان المجاور من المصلب حيث وُضع جسد المعلم اخترقت أناشيدُهم الصمت وأخذوا يلامسون الحجر . وفيما هم يرتلون ويبكون قال أحدهم لصاحبه : من أين لهذا النبي اليهودي كل هذه القوة ؟ كيف يجند الآلاف جيلاً بعد جيل ؟ لماذا إليه تكون العودة وفي شخصه تقوم الصلة ؟

وبعدما زاروا الحرم الشريف وتساءلوا عن الصخرة قيل لهم هناك : لا تصدقوا انها معلقة . إنما الصخرة هي القلب المتعلق بالله أو بالمسيح . تحديد ولا أروع يحدده شيخ مسلم عن علاقة الإنسان بيسوع وكأن هذا الإمام قرأ الآية : « وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي » . الإيمان منطلق الإسراء ، مصعدنا

إلى السماء . أليست الأرض بابنا إلى الملكوت ؟

على أرض واحدة تلاقت ديانات التوحيد . هناك بالضبط على المسجد الأقصى ، على جبل موريا ذبح أسحق ونشأ العهد وبواسطة الإسلام ذُكر إسماعيل ذكراً جميلا .

تطارح الحجاج مسألة أبدية : لما هذه الزيارة ؟ لماذا اقتفاء آثاره ؟ أليس الرب في الكلمة ؟ أليست مائدته طريق اتصال؟ والكتاب والكأس المقدسة قائمان خارج أورشليم : « ان الرب هو الروح وحيث روح الرب هناك الحرية ».الحرية من الحجر ، من الحجر المبارك .

ومع ذلك تبنت الأديان كلها فكرة المكان المقدس عند نشأتها (اليهودية ، الإسلام) أو بعد نشأتها (المسيحية) .

كأن الطبيعة الإنسانية لا تلتقط الروح دونما تجسيد . لقد اختارت الروح لنفسها في الدنيا ركائز .

لعلّ ما يؤثر في فلسطين ليس فقط هذا المكان أو ذاك بل الفكرة التي راودت الأقدمين في أن يتعهدوا كل موطىء من مواطىء قدميه . ليس المهم عندي في أن تكون هذه المناسك كلها صحيحة من الوجهة التاريخية . الأجمل ان أتقياء الدنيا التأموا قسيسين ورهبانا ليلازموا أرضاً حبيبة ويُدخلوا الحجاج في سر هذه الأرض .

جو أورشليم لا يعلوه جو . القدسية هناك جو . ليست النجوم غريبة عنه في ليالي القدس الصافية .

« ان انسَك يا أورشليم فلتنسني يميني » ولكن أهم من كل هذا أن يتخذ المرء أورشليم في قلبه . الله الكامن فيه هو وحده القبلة .

الاحد ١٩ آب ١٩٦٥

المخلص العَاري

« انه قد ولد لكم اليوم مخلص ... وهذه علامة لكم . انكم تجدون طفلا ملفوفاً مضجعاً في مذود » . هذه كانت البشرى . والبشرى ، إذا نظرنا اليوم إلى بيت لحم وما إليها ، قد استحالت إلى مأساة . الطفل ليس في المغارة ، إنه في الخيام على طرقات الضفة الشرقية . وبعضهم قد ضاع . ففي الرامة بكاء والأم « تبكي على بنيها وقد أبت أن تتعزى لأنهم ليسوا في الوجود » .

سنلتمس الطفل العظيم هذه السنة في صغار العرب فإنهم غرباء مثله في أرضهم. إنهم ظرف نجاتنا، إن افتقدناهم باخلاص. لقد دعانا وزير التربية إلى ذلك فإننا بالعطاء نتربى. وقد جاء عند علماء اللغة أن التربية مشتقة من الرب. نداء لمماثلة الله في سخائه. لانستطيع أن نذهب إلى المذود لتقديم الذهب واللبان والمر. فيسوع قد نزح عن المذود إلى حيث لادفء . ارتحل إلى العراء ، إلى قشعريرة البادية ليستوطن عزلة الأخبية وأجحافها شرقي الأردن. لن نجد الطفل ملفوفاً مضجعاً . فالنساء نزحن بلا أقمطة . إلهنا نعبده عارياً هذه السنة . نعبده في ذل العرب في تشرد أطفالهم .

هؤلاء الصبية حمامة الحق أمام العالم . إنهم امتداد لذاك الذي « قربت له ملوك العرب وسبا العطايا ، لذاك الذي يعيش ويُعطى له من ذهب العربية » (مزمور ٧١) . العربية اليوم تعطيه دماءها المهراقة ، تعيد إليه دمه . هذا هو نصيبها الآن من نعمته وإذا اكتملت النعمة فإن الله جاعل من اسماعيل الطريد « أمة كبيرة » (تكوين ٢١ : ١٣ و١٨) .

لا بالحجم بل بالدفقات تكبر الأمم . هدايا الأعياد هذه للنازحين لماذا هذا الإهمال في تحديد أماكن جمعها في لبنان كله بعد أن كان النداء . نريد أن نعتقد أن الأمر لن يكون مجرد رفع عتب بل حملة كبرى على مستوى المأساة . هزة للضمائر أو يكون البلد غير مساهم . لاشكليات تضامن بل مشاركة تكلف الكثير ، تتبنى التقشف العظيم وسيلة تطهر ووسيلة ارتقاء. وبعد الأعياد تذهب الرموز وهي من العطاء بعضه . وتفوتنا فرصة غلبة على النفس وفرصة التجليات .

أجل الله طريح الفقراء كلهم . ولا بدّ من السعي إلى الذين في لبنان أيضاً . ومع ذلك كيف يرتاد أهل لبنان اليوم بيت لحم وقد أوصدت أبوابها دونهم أن لم يحنّوا إلى أبنائها المبعدين . التوق إليها توق إلى مضارب أطفالها المتبددين في ظلام الإنسانية .

النداء مرسل ، بنوع خاص ، إلى أغنيائنا ، نداء اللّـه . الميلاد افتقاد الرب لهم لأن النسيان تجربتهم القاسية . ولكن ربما لاينسون هذه المرة . وقد يتعلم البلد كله ألا يتحول إلى حفلة سمر . فما الفائدة من ارسال الهدايا إلى صغار الأردن إن كانت بلادنا صخابة التعييد ، ماجنة الموسم ! شيء من الانكفاء هنا ،

الاحد ١٧ كانون الاول ١٩٦٧

الآن، الآن

« أنه قد ولد لكم اليوم مخلص » . إلينا هذا الكلام ، إلينا اليوم . في زماننا هذا يولد المسيح . إنه في دوام الظهور ، معلن في « هجعات الليل » ، كل ليل لمن يرتقب الفجر . الماضي لا يهمني أو يهمني لكون سيدي قد تجلى فيه . من سيدي يتخذ فقط معناه . يسوع معاصري.أجل كان في أمسي وسيكون في غدي. أني أؤمن بما حدث وأترجى الآتي. ولكني عالم بأن الرب قابض اليوم على كياني . الآن ، الآن وليس غداً . في هذه الرؤية كل مصيري . إني « أنظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمني به الرب » .

الناس لايريدون اليوم لأنهم يحلمون بالماضي أو بالمستقبل . الحاضر وحده يكلف . والعيد ، أحياناً ، هروب إلى ما فات . ليس مثل التعييد يحجب الحقيقة أحياناً،يقطع بيننا وبين الراهن. ذكرى الميلاد قد تعني تخيل الحدث لا التحول إليه. وليس المهم التذكر بل التحديث ، التماس الحضور في الآن .

« ولد لكم . . . مخلص » والإنسان لايريد مخلصاً.الإنسان

يهوى نفسه ، على ما هي ، في كل نزواتها . يسعى إلى بقاء هذه النزوات . إنه قائم بها . هي لونه ، زخمه ، حقيقته ، يظـن . لولاها يموت . يديمها حتى لا يموت . رقيةٌ هـذه اللذة لأنها تعطينا شعور وجود. ومع ذلك لا تروي فإن نهايتها منذرة بالموت ولا نقدر أن نتزين الوجود ديمومة التذاذ . ليس هذا هو « الأمر الواقع » . الأمر الذي لامرد له هو الموت . اقتناعنا النهائي، القاسي بحقيقة الموت يجعلنا مهرولين إليه عن طريق اللذات . وعلى قدر ما نخيب نهرول ونقلق . ونحاول القضاء على القلق بالمزيد مـن اللذات ، الأمر الذي يقودنا من جديد إلى القلق . ويزداد الجزع إذا بتنا غير قادرين على تكميل الشهوة . نخشى على حيويتنا من الزوال .

فالمشكلة أن نتغير ، أن تنزل الحياة إلى الموت ، أن تقف دوامة الخوف ، أن يضرب أحد الجزع ، أن نعبر من اللذة إلى الفرح ، من خيبة الاستمتاع إلى تعزية العطاء . النجاة نجاة من أنفسنا ، من محدودية أنفسنا ، من ضيقها ، من طمعها ، ولا ينجو الإنسان من اللذائذ إذا ارتقب مثيلاتها أو أعظم منها الآن أو غداً . فالإشتهاءغرق في النفس ، في الأنا ، في أزمات الأنا وفراغه . بقوة الذات لا نخرج من الذات . كل تأمل الذات سحر ظلمة . كيانٌ غير الذات ينيرها ، ينقذها .

من فوق ، من آخر يأتي الخلاص . المخلص هو الرب . إنه لايأتي من النفس ، من شهواتها . وإذا جاء لا يبقى الإنسان كما هو ، كما يشتهي أن يبقى ولكنه ينقذه من ذاته فيعرف أنه من آخر ، أنه يمكن أن يصبح آخر ، إنساناً جديداً .

هذا هو سر الفصح، سر الحياة الإلهية الهابطة إلى مجال

الموت المفنية الموت ،في قعر داره والداعية إلى أن يتجلى الإنسان بالألوهية الدافقة عليه . والحق أن المسيح ولد في التاريخ . في ضمائر البشرية عند انبعاثه في اليوم الثالث . هذا هو ظهوره الحقيقي ، فعلُه الحاسم. ولذا لم تعيد المسيحية ، مدة طويلة ، إلا لموت السيد وقيامته ، وعلى هذا الهدى يكون الميلاد « عيداً صغيراً » ، تهيئة للفصح . فالمسيح مُعَد للذبح منذ الأزل ،ملازم آلام الإنسان حتى انقضاء الدهور . نختبر ذلك كله في مراسم الفصح . ولكن معرفة ذلك تبزغ مع أضواء بيت لحم . المعرفة تستوقفنا فيتراءى لنا المجد ورجاء السلام ، ذاكَ الذي يحل على الأرض بالدم المهراق .

متى يفهم الإنسان أن خلاصه ليس منه ، ليس بتمخضاته بل بانفتاحه على الله ووثبة الله إليه ؟ الموت لايموت إلا بالحياة. الإنسان لايصبح آخر إلا إذا بشّره الله بقدرته على هذا التحول. الميلاد يقول إن الله قد أتى إلى الإنسان ، على مستوى الإنسان وفي مجاله ، بلغته وأشكاله ليقول له ذلك تعليماً وسيرة ، ليلقي أمام عينيه الحياة في الموت ، ليقنعه عن طريق المحبة المصلوبة أن الذي صار مرة في الناسوت الإلهي يمكن أن يصير أبداً في كل ناسوت .

الميلاد دعوة إلى هذه الصيرورة ، تعهد المؤمن أن يفتح قلبه لله ليولد فيه في عتمته وجفائه وبرده وعرائه.قدرة القلب الوحيدة أن ينقلب على نفسهأن يستدعيهوجهُ الباقي.لا أفق جديراً بالانسان غير هذا أن يتأله باطلالات الرب عليه.وقتئذ نعيد لميلاد الإنسان.

الاحد ٢٤ كانون الاول ١٩٦٧



يسوع في القبر

لقد مات السيّد لأنه كان المُطْلَق . لأنه أنزل المُطْلَق إلى مجال الحَدَث . فبات على كل طارىء وزائل شهيد الأبد . وأمست كلمته الفرقان بين الظلمة والنور بحيث إن الكلمة الصافية ، الرقيقة ، المحبة ، المتواضعة ، كائناً من كان قائلها ، تصبح هي كلمة المسيح وإنجيلاً مرسلاً . المُطْلَق ليس في المؤسسة ولو مسيحية وليس في أقوال القائمين عليها بالضرورة . وإذا لم يكن لابن الإنسان موضع يسند إليه رأسه فمُطْلَق المسيح أن يكون شريداً على طرقات التاريخ وبالتالي لا « صخرة خلاص » سوى خشبة رُفعت مرة على رابية من روابي أورشليم وأن ترتضي المسيحية هذا المصير الممزَّق إذا كان سيّدها يعني لها اليوم شيئاً . ولكن المسيحيين قبلوا الموت نصيباً للمسيح لا لَهُم وكأنهم غير مدعوين بموتهم هم أن يقوموا عند فجر الفصح .

المسيح عندما رذله البنّاءون صار رأساً للزاوية . هذا هو العجيب في أعيننا ، يقول الكتاب . كيف يفتح الموت أبواب الحياة ؟ أمّا أن يتصوّر المسيح في حياة شعب أو لا يكون . الترانيم الخاشعة إذا لم تصبح عندنا حقيقتنا الفاعلة ، سياستنا اليومية في هذا البلد الصغير

فإنها ملهاتنا بالإله . كيف نرتضي الموت للمسيح ونأباه لأنفسنا ؟ كيف نعذّب الآخرين بصلف ومهاترة وقد جاء الفادي ليرفع العذاب كله عن أكابر الأرض وأصاغرها ، نحن أبناء الحرة وأبناء الجارية . وبعد أن دفع هو « جزية الاستضعاف » لا يقدر أحد أن يذل المؤمن باسمه لأن المؤمن لا يطاله أحد بعد أن جلس مع الرب عن يمين الله الآب .

في تذكرة آلام المعلِّم اليوم تحضرني العبارات الملهمة التي وصف بها ميشال حايك ، في الندوة اللبنانية مؤخراً ، الجحيم الذي عاشت فيه المسيحية الآرامية وأراد بذلك عصور الاضطهاد . ولست أعلم لماذا تخيّلت فوراً وادي قاديشا ، هذه الأعماق السحيقة التي لجأ إليها نسّاك مع بطريركهم وفلاّحيهم ليكتبوا ملحمة الحرية إلى الأبد . ولعلّي تذكرت ذلك لأن كنيستي وهي كنيسة شهداء أيضاً كانت مسؤولة ، بشخص رئيسها آنذاك ، عن مطاردة هؤلاء من ضفاف العاصي وصلبهم على صخور قنوبين . وكنيستي لم تتنكر حتى اليوم لهذا الباطل . ولا شك أن دحرهم إلى القاع دفعهم إلى مد أيديهم إلى الإفرنج الصليبيين لما احتل هؤلاء بلادنا واضطهدوا فيها كنيستي . وصارت كنيستي وحيدة كالعصفور الفريد على السطح .

وكنت أتمنّى ألاّ تنتهي الملحمة وألاّ يُصفع أحد قبيل الأسبوع الذي صَفَعَتْ فيه المسيحَ خطايانا . ألعلّ مردّ ذلك إلى أن صوامع قاديشا قد انقضى عهدها ؟ ربما كان من منطق العالم أن ينهد سكان الجحيم إلى ذروة الجبل ، أن تتحوّل المناسك إلى صروح . ولكن يبقى بالطبع السؤال قائماً : سكان القصور كيف يغلبون العالم ؟

الذين انتشروا من وادي القديسين إلى أرجاء أخرى في هذا البلد ليس أمامهم ، في عيدهم اليوم ، سوى المغامرة نفسها التي انخرطوا بها قديماً ، أعني مغامرة الملكوت ، هذا الذي يحلّه الله في قلوب أحبائه رحمة ورأفة . الصليبية الوحيدة هي التي يشنّها كل منّا على زيف نفسه وكل طائفة على أمجادها الباطلة . الصليبية الوحيدة هي التي يسترجع فيها كل منّا نفسه الدفين من كفر أهوائها .

هذه هي بطولة الموارنة إن شاؤوها . وإذا رعوها حق رعايتها تكون فصحهم الأبدي . وهم ، عند ذلك ، رواد ليس فقط في لبنان بل في مملكة الله .

الأحد ٢٦ آذار ١٩٦٧



عيد الصليب

كانت النار أمس على الجبال وفي مباهج الصبية . وما وراء القصد القديم فرح بلقاء الصليب الدفين عثرت عليه أم قسطنطين الملك في أورشليم . فكانت النيران على القمم بلاغ القدس إلى القسطنطينية بوجود الكنز الكبير . ما وراء العيد والشعار تتكشف لنا المعاني .

« ما كان الصليب حديداً . . . » تَبَرَّجَ الناس به ولكنه ألم مقبول وصبر في الله لإشاعة السلام والسكينة في القلوب . من يتّسم بهذه السمة لا يتجبّر ولا يتحدّى فإنها ليست علامة حزب ولا تقتصر على فئة ولكنها رمز المعذَّبين الراجين بعثهم ﴿ خلقاً جديداً ﴾ (سورة الاسراء ٤٩) . لا يتألّه المصلوب ولا ينتفخ فإن أحداً لن يصعد إلى السماء إلاّ إذا أنزلته النعمة من السماء وجاد بحب السماء .

ليس الصليب إشارة بل تراث . إنه يحمل معنى الفداء ومعنى الحياة المتولّدة من الموت . ومن هذا القبيل ليس وقفاً على النصارى . أجل ربطته المسيحية بحادثة هي تؤمن بها ولكن من بعد الحادثة التطلعات الكبرى . والتطلعات هي البُشرى. لقد وعى ذلك شعراؤنا

المحدثون لما تحسَّسوا الفواجع فسرى ذكر الصليب على كل قلم من العراق إلى مصر وفي لوحات مُلهمات . وقد أضحى الرمز فعلاً مرة في تاريخ الإسلام باستشهاد الحلاج صلباً في مطلع القرن الرابع للهجرة . ومن أجمل ما جاء في أخباره ما رواه أحمد بن فاتك قال : « كنا بنهاوند مع الحلاج وكان يوم النيروز فسمعنا صوت البوق فقال الحلاج : أي شيء هذا . فقلت يوم النيروز . فتأوّه وقال : متى ننورَز ؟ فقلت متى تعني . قال يوم أُصلب . فلما كان يوم صلبه بعد ثلث عشرة سنة نظر إليّ من رأس الجذع وقال : « يا أحمد نُورِزنا » . كان موت هذا العظيم مستهل رغده . لا الشهادة وحدها بل الموت الذي نرتضيه مؤمنين ، « بالصبر والسماحة » طريقنا إلى اليقين . ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ (سورة ق ١٩) .

الرمز رمز تواضع فظفر يأتي الله به بسبب من التواضع . الصورة صورة البذل الذي لا ينتهي . شيء من انصلاب ما جاء على لسان أبي سليمان الداراني : « من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة » . إن من احتجبت نفسه عن قدرة لها لا شك جليس الله مذ توارى عن عيني نفسه . إنه واحد من أولئك الذين قيل لهم : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره ﴾ (الأنفال ٣٦) . في العهد الجديد ، عند ذكر الصليب ، شيء كهذا : « اختار الله الضعيف من العالم ليخزي القوي واختار الله الخسيس من العالم والحقير وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يفتخر ذو جسد أمامه » (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ ـ ٢٩) .

السؤال الباقي هو أين الفداء اليوم ؟ هل الجلجلة حدث انتهى أم أن المسيح مصلوب في كل مكان ؟ **أعلى تلة نعثر اليوم على الصليب أم نسعى إليه عند كل ألم وفي البلد الجريح** ؟ أمنتصب هو على رابية من روابي القدس أم نزيل خيامها ؟ أمعلّق على الصدور أم فقراء الدنيا مسمَّرون عليه ؟ من يأتينا غداً بغير الزينة عيداً !

الأحد ١٥ أيلول ١٩٦٨



نحو أورشليم

« ثم انفرد بالإثني عشر وقال لهم : إنّا لصاعدون إلى أورشليم ، فيتم جميع ما كتب الأنبياء في مصير ابن الإنسان : فسيُسلم إلى الوثنيين فيسخرون منه ويشتمونه ، ويبصقون عليه ، ثم يقتلونه بعد جلده ، وفي اليوم الثالث يقوم » (لوقا ١٨ : ٣١ ـ ٣٣) .

ابن الإنسان مديد . جرح كبير . أنين كون . في ذهابك إليه تلقى رفاق دمه ، كنيسته الحقيقية ، الشهداء من كل جنس ودين . الفصح ، هذه السنة ، ملاصق لتاريخ فاجعة حلّت بنا في الـ ٩ من نيسان السنة الـ ١٩٤٨ ألا وهي مذبحة دير ياسين .

فضحية دير ياسين أن قَتْلَ شعبها تم مباغتة وغدراً على أيدي « عصابة كثيرة العدد تحمل السيوف » (متى ٢٦ : ٤٧) . مكبرات الصوت أخذت تدعوهم لمغادرة القرية فهبّوا إلى الخارج ليسألوا فانهالت العصابات عليهم تقتيلاً فذبحت مئتي وخمسين ضحية عِشرُها نساء حوامل بقرت بطونهن وشوّه ٥٢ طفلاً أمام أمهاتهن وانتُهِكت حرمة النساء وأرغم الصهاينة النسوة والفتيات أن يطفن عاريات في شوارع القدس عرضة للسخرية والشتم والبصاق .

وألقيت جثث ١٥٠ إمرأة وطفل في بئر لتخفى عن مندوب الصليب الأحمر الدولي . دير ياسين متجلّي للشهادة . لها من الشهادة دوام الذكرى ووعود الأبد .

فليس الأهم أن نذهب إلى العيد بل أن نحمل الفصح

« بحيث نرى البعث في كل دم مهراق
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد » .

لعلّي أعلم لماذا أنا غداً حزين . لكون المسيح لم يصبح - في أذهان أتباعه - مديد الكون ، لأنه لم يعبىء الحياة . غداً إذا رأيت الصبية يحملون سعف النخل وأغصان الزيتون وإذا رأيت سواهم يتفاقسون بالبيض لن أرى وراء ذلك سوى اللباس الأبيض وبراعم الفتوة . رموزاً ستكون كل هذه . لا شيء سيخرق الرمز كي تتحوّل الصورة صرخة حياة . العيد أن

« مت بالنار : أحرقت ظلماء طيني ، فظل الإله
كنت بدءاً وفي البدء كان الفقير
مت كي يؤكل الخبز باسمي ، لكي يزرعوني مع الموسم
كم حياة سأحيا : ففي كل حفرة
صرت مستقبلاً ، صرت بذرة
صرت جيلاً من الناس ، في كل قلب دمي
قطرة منه ، أو بعض قطرة » .

الأهم من العيد أن يعي أصحابه أنه يحيا في الفداء ، على كل تلة يتطلع إلى الحق المقدمون إلى الموت . هذا هو العيد الكوني القائم جيلاً بعد جيل . العيد هو حيث انبتت دماء الناصري « الورد في الصخر » .

« اليوم عُلِّق على خشبة
وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار » .

الذي ارتفع على هضبة الجلجلة والذي ينزف على ضفاف الأردن واحد . المسيح في المصلوبين الذين جعلهم صليبهم مسحاء . الناصري منطلق . حجمه تلك الكنيسة التي تلفّ الأرض . رؤيته عالم الغد الذي تطلع منه الحياة .

الأحد ٦ نيسان ١٩٦٩



صلاة إلى المصلوب

يا سيّدي المرفوع على عاري ، المصلـــوب على يأسي ، يا من غدت كل مرارة جلجلته وكل غفلـة مسماره ، أردت أن تكون نهشـاً للكلاب ، للكلاب الناس من كل جنس ، عضّة للإثم المنهمر عليك من تاريخ المعاصي .

يا من يحدق بك الأشرار لكونك جلدة لخطايانا وصدعاً لكذبنا وقد جعلوك دودة لا إنساناً ، رذالة ، مقتاً مقيتاً وقبلت أن يصير قلبك مثل الشمع ذائباً في وسطك . رضيت أن تيبس كالخزف ، أن تنحدر إلى تراب الموت ، إلى ظلمات النسي . ثقبوا يديك ورجليك وأنت تعد عظامك كلها وهم ينظرون ويتفرسون فيك . يقتسمون ثيابك بينهم وعلى لباسك يقترعون .

حسبي أنك هنا سكيب . **في كل وقت أستطيع أن أمد يدي ، أن أستعطي الحب المبذول** . لي في كل حين أن أجثو إذا تفككت أيضاً جميع عظامي فإنك أنت نجاتي في كل محنة ورفيقي في كل اضطراب . وإذا انسكبت نفسي في الحسرة والتأوّه فأنت جامعها إلى روحك بعد أن صار المبتلون رفقاءك إلى الأبد .

أنا ملقى عليك . تلقيتني من الحشا في مواكبة طيّبة ، في دوام الغفران إذ كنت تتوب إليّ وأتوب إليك **وكانت الحياة في الاياب إلى وجهك الدامي وكان ما عداك لهواً في ضلالات النفس** وأنت واقف حتى منتهى الدهور لتقول لي إنك واحدة من هذه لا تذكر ، إنك تعمّدني بدمعي كلّما قلت لي إنك لا تحسب عليّ ذنباً . وإذا تعبت في سعيي إليك وأخذ قوامي بالإنحدار كأن الأفق **غائم والشعلة تخبو** فأنت على ذلك تضيفني بالرحمة وتضمني إلى فهمك العظيم فإذا أنا قصبة مرضوضة وفتيل مدخن لا تطفئه وأنت آخذ بيدي إلى آخر طوافي على الأرض . وعلى هذه الطريق الطويلة لي منك الرفق ولك مني الفقر والسؤال .

من يداخل ، يا سيّد ، قصة هذا الحب العظيم ليروي كل جمالاتها ؟ كيف تُحكى ؟ حسبي ، بعد هذه الحكاية المذهلة ، أنك قضيت على عزلتي . **أنا لست وحدي الآن** ولن أكون لأنك أنت هنا كلٌّ يملأ كل فراغ . تردني الخطيئة إلى وحشتي وقد يهملني الناس ولكنك أنت حاضر أبداً تعزّيني عن غربتي . في عينيك أنا موجود .

هذه الوحدة بيني وبينك تجعلني أحيا ، تكشف لي معنى الوجود وجمال العالم . إنها تقرّبني إلى الأحياء ، إلى الذين سيموتون . لي أن أحبهم ليتعرفوك ، **ليدركوا أنهم ليسوا مرميين في هذه الدنيا** ، أنك رائدهم إلى السلام والعطاء الكبير وأنهم أحباؤك .

***

أيها المسيح الفادي ، يا معلّم ، يا منبتاً لليقظات المُغنية جئت إليّ في ليلي ، تجيء دائماً إلينا في الليل لأنك ضياء السماوات والأرض ، دماء الورود التي تتفتح في الصحاري . قُدِّست يا رب فمن كان لك فإنه يقظان إلى الأبد، متجند للتنبيه، حر من النوم، من ظلمة نفسه والتاريخ.

في لقاء الوجد أنت العرس والعروس يا سيّد وأنت تلقي علينا الحلّة لندخل . نحن جياع إلى عشائك وعراة . إن حبك يا رب أطيب من الخمر . اجتذبنا وراءك فنجري . أدخلنا خدرك فنبتهج بك ونفرح ذاكرين مائدتك التي نزلت علينا من السماء عيداً مقيماً . « سيّدي ، أعطنا من هذا الخبز دائماً أبدا » وناولنا من هذه الكأس العهد الجديد بدمك فالكأس حمل آلام وتوهّج قيامة .

الأحد ١٣ نيسان ١٩٦٩



أنطونيوس جديد

على ملتقى القرنين الثالث والرابع كان في مصر رجل غريب . فلاّح أمّي صار للتاريخ كتاباً وللضمائر الناهدة إلى الهدى قبساً كأنه من الأبد عنيت به أنطونيوس الكبير[1] . فقد رأى كنيسة عصره مهلهلة ، غير جادة فأراد أن يعاصر المسيح ، أن يطلع إلى إنجيله فأخذ رسالته مأخذ الجد واخترع العيش في القفار . رفض المجتمع الاسكندري وغنى ذويه وبدا له أن تحدّي الطهارة أفعل التحدّيات وأثبتها فنهج منهج الرهبانية وتوغل في البادية التماساً لوجه الوحيد وكشفه لنا الأدب النسكي في صراع مع الهوى، مع تُرابيته في سعي إلى حرية الصفاء، شهيداً للعشق الالهي وأباً للشهود الآتين من كل صوب إلى ربهم «امتثالاً لأوامر الإنجيل المحيية» .

في ذكراه اليوم ماذا يعني لنا منهجه ؟ والجواب ليس في شرح الطرق الرهبانية قديمها وحديثها . والرهبانية من حيث هي شكل محض لم تكن هاجس أحد . ولكنها مديدة الأعماق لا في البراري بل في مدن

(١) راجع سيرته وشرح أقواله في « أنطونيوس الكبير » سلسلة « القديسون » رقم ٦ ، منشورات النور ، ١٩٨٣ (الناشر) .

العالم . والسؤال **هو كيف يكون أهل المدن والحضر بعامة رهبانيي السبل إذا أكلوا وشربوا وتزوّجوا وساسوا أعمالهم والبلد** ؟ الترانيم البيزنطية تقول الشيء الكثير عن رجل « صبا إلى الذي هو في الحقيقة كمال المحبة فازدرى باللحم والدم » ، عن إنسان أنه كان « طاهر النفس والقلب ، سيّداً يتسلط على الأهواء » .

فإذا تتبعنا هذه النصوص ـ وفي كل كنيسة شبيهاتها ـ يبدو أن القضية ليست قضية ذهاب إلى الصحاري ولكنها قضية ارتقاء روحي وصبر على التجربة ومناجاة للحبيب . المهم لا أن نقدس صورة من صور النضال بل العكوف على رياضة البر منذ الطفولة والاعتصام بالخلود ليصبح الإنسان دائم التخلق بالأخلاق العيسوية يستنير بها قلبه ويذهب بها عقله مذهب الإله .

وَقْفُ النفس لسيدها أمر محتوم علينا ونحن في خضمّ العالم . هنا لا هناك بعيداً يسلم القلب لنجي القلب فلا يُخلي مدناً ولا يُعمّر براري . في هيكل الكون كله ، في صخب الحواضر ، أثناء قيادة سيارة يرتفع المرء بالروح القدس ، يتوحَّد فلا تبعثره الشهوة ولا تتأكله الأنانية فيحتوي الدنيا وكل ما فيها إذا أصبح عنها غنياً . فإنه إذا احتضن الإله يعف جوهرياً عماّ عداه . وإذا تنقى به فإنه أمام وجهه ماثل وتخيّم عليه سكينة من أحب فإذا به يتجلّى ببهاء لا يغيب فيتلاشى الإثم بوداعته ويطول زمان قدره في وجدان الأبد .

هذا هو الرقي الذي لا بعده رقي والمعراج الخفي في القلوب . ألا

نحتسب الغنى والمجد شيئاً هذه هي الرؤية السعيدة التي تجعلنا نطل على الكائنات كلها بخفر وسيادة بآن معاً . ليس شأننا مع الأرض شأن اغتراب فإن لحمنا مسمّر على هذه الأرض . والروح دائماً إليها عائدة لأن دم الرب يسقي الأرض حرارة حب تصير عند العابدين أدعية ومبرات . **روح الأبرار دوماً مع الدنيا ولكنها أعرضت عن بلبال الدنيا . ليس للصديقين عوالم غير التي نعرف . ولكنهم من هذا العالم كله أحرار** . يحملونه على مناكبهم ليقيموا فيه ملكوتاً يسائله إذ الملكوت خضة الدنيا . وجراح هذه الدنيا يحملها الأبرار وحدهم لأنهم يذوقون الصليب ومرارته والآخرون يتسلون . والألم رفيقهم ما عاشوا وهم على ذلك كله في فرح مقيم لعلمهم أن الجرح يشفى وأن النور آت اليوم أو غداً .

هذه الذروة ليست نتيجة تطور ولا علاقة لها بالأوضاع الإجتماعية . إنها انقضاض روح على بشرة تسمو . المجتمع لا يفرز أبراراً كما تفرز العصارات . فلك بالتالي أن ترجو القداسة في كل حين وهي تلمع عند شروق حضارة أو عند مغيبها ، في الهدوء والاضطراب . والقداسة لا تلتحي ولا تتجلبب . تشع عليك من حيث لا تتوقع ، من إنسان قد يكون وسيماً أنيقاً وقد تخفي أناقته توارياً أمام الله . **وقد يتشح بالقداسة محاسب أو تاجر أو ممثل أو حمال ، بتول أو إمرأة ولود . القداسة دائماً مستترة ولكنها تحمل العالم** . إنها النعمة التي يتركها الله هنا وهناك ليشد العالم بها إليه لئلّا يتفتت العالم.

الذين يؤمنون بها لا يقولون مع أذكياء الأجيال الأخيرة : بادىء بدء أصلحوا الدنيا ونظامها لينشأ من الترتيب رقي . قد يكون في هذا

القول شيء من الصحة يقيناً بأن الذي يبدأ في التنظيم جاداً يكون غير خال من مسحة القداسة . إنها كانت هنا البدء أيضاً . ولكن الأبرار لا يتكلمون في غالب الأحيان ولا يدعون إلى نظام وقلما يؤمنون بالأنظمة . إنهم هم القوة التي تنقذنا من فساد الأنظمة .

المعاصرون فكروا بتهيئة الجو لرقي الإنسان فسمّوا هذه التهيئة تنظيماً . ولكن النظام ليس وليد نفسه . إنه نتيجة وليس سبباً إلاَّ بمقدار . وهو ، في كل حال ، معرّض للزوال . ليس هو برؤية ولكنه تجسيم رؤية . أما ينبوع الرؤية وزخمها فطهارة الحياة وصدقها . والطهارة تأتي إلى المجتمع ببركاتها ولا يفرزها شرطي ولا قاض ولا موظف ولا هذا التنسيق الذي نسمّيه دولة . إنها حقيقة كانت قبل الوطن وقبل المدرسة وقبل كل وجود ينبثق من هذه الأرض .

إنها الرفض الذي لا يفر بك إلى الصحراء ولكنه يبقيك هذه المرة على أرض بلادك . قد يجعلك قومك عنهم في غربة ولكنك هنا وسط حضارتهم وولاؤك ليس لما يعملون أو يقولون لأنهم يواطنون الباطل وأنت تواطن اليقين . وهم يسعون إلى أجسادهم والجسد الوحيد الذي أنت تسعى إليه هو الذي عُلِّق على خشبة . إنهم يكذبون ليل نهار ويسرق كبيرهم قبل صغيرهم **وأنت جعلتك محبة الله مرفوعاً على صليب الصدق تنزف ليل نهار ليتفجر صدقك وسط الباطل وتسطع حقيقتك من قلب الديجور ويصبح ربك من جديد حاكماً في الأرض .**

لقد أراد أنطونيوس أن يجعل حكم الله في الصحراء. اليوم ينبغي

أن يصبح الله من جديد سيّداً على الصحـاري التـي هي المدن فإنهـا بالنسبة للحياة الروحية قفار بعد أن أدبرت عن الأخلاق إدباراً كبيراً . من يفتح لنا درب الخلاص ؟ من يكون أنطونيوساً جديداً يتحدانا بعفة لا تنثلم إذا مسَّ مالاً أو مارس وظيفة أو تعاطى سياسة ؟ من يخصب الصحراء الحديثة ؟ من يقول « لفزعي القلوب تقووا لا تخافـوا » فإن الغش ليس بحذق والاستقامة غلابة إذا صمدت ولو كان المؤمنون بها حفنة صغيرة . والمستقيم يترنم بأناشيد الظفر الداخلي لأنه أضحى معبر الرب إلى الناس ومُتجلى الأزل وقد يكون وحده حيِّز النور وحسبه ذلك تعزية . منه سينطلق البِرّ كانطلاقة الينابيع وسط البـادية . ويكون عند من لامسه هذا البر « فرح أبدي » في مفر الظلام .

الأحد ١٨ كانون الثاني ١٩٧٠



الفصل الرابع

اصول الحياة الروحية



بلوغ القمة

العالم كله شهوة وتعظـّم . وقد يكون الاشتهاء نفسه كبرياء لانه ، تحديـداً ، حب الاستيلاء و « فرط الطمع » . لاني في أدنى المراتب ، اعتبر نفسي موجوداً ، لاني ، في كل حال ، أريد تثبيت وجـودي ، أرغب في الناس أشياء لي وفي الاشياء دعائم كيان . الحياة كلها مسرح انتفاخي . أليس الرجل يتباهى بقوته سيطرة على المرأة . الا تنتشي المرأة باغرائها الرجل ؟ اللذة ، هنا وهناك ، في التسلط .

عكس هذا المتواضعون ، الذين يضعون أنفسهم في أدنى مـنزلة ، الذين لا يرتفعون فوق التراب . همهم ان يختفوا . الاّ يظهر منهم ،كلاماً او فعلا ، الا المفيد المفيد لانهم يخشون ، اذا غير ذلك ، ان يكون هبة انسانية باطلة . اما اذا دخلوا في خلوة النفس ففيها اصغاء الى صوت الله فيهم واذا هم في نجواه . والانسان الداخلي ، اذا وجه قوانا كلها فالله هو القائم وسط انساننا الباطن وهو اذاً سيد الحياة .

المليء من حضرة ربه ، العارف ضعفه في ابتعاده عنه ، وفي اقترابه ، المدرك انه فراغ بجد نفسه ، لا شغل له الا ّ ان يستدعي هذه الحضرة المباركة . واذا انعطفت وحلت فعنده ان الوجود لها وان القوة لها ،

وانه لا يزال هو عدماً فوق عدم . ولكنه موقن ايضاً أنـــه مستودع العطاء وان العطاء جزيل. وعلى قدر تخلي المتواضعين عن المجد وكرههم للمديح فـــلا يحجمون ، اذا أتتهم لمسات النعمة ، ان يفتخروا بربهم افتخاراً كبيراً . ذلك لانهم لا يرون سواه .

الترويض على التواضع بأسكات اللسان اذا اعتد واعتز ، بالقبـــول الصبور للملاحظة واللوم ، بارتضاء التأديب ولو قسا ، بقمع جماح النفس اذا مالت الى الاحتقار والصلف والطغيان ، بتأمل الله في تنازله الينا .

واذا أتم الله على امرىء نعمة التواضع فليس عليه بعد ذلك جهاد انه بلغ الذروة .

الاحد ٢٢ تموز ١٩٦٢ .

طهارة القلب

نقاوة القلب شرط الرؤية الصالحة لله وللكون . فطريق التأمل في الله حفظ وصاياه . والطاعة ثمرة محبتنا له وسبيل اليها . والواضح في خبرة المعصية انها تضع حداً لشوقنا اليه تعالى وحداً للحديث في شؤونه . ولا يلج الفكر عتبة الحب الالهي ان كان مأخوذاً بغيره . وما يدفع الى التمرس في الفضيلة ارادة الانسان في الاستمرار بالحوار مع ربه .

واذا كان الانقياء وحدهم أيضاً يدركون عميق الانسان وكنه حياته . ذلك لأنهم يذهبون الى ما وراء القشور التي تحجبه عن النظر ويكتشفون وحدة الانسان وسره وفرادته دون مظاهره وتعقيده . البساطة وحدها تؤمن بالبساطة وتتعرف بنورها هذا كل نور في الآخرين. بهذه العين السليمة يرى المرء الناس كلهم خيّرين . حينئذ يكون قد أدرك الطهر الكامل .

لانه منشغل في اصلاح نفسه لا يرى الرديء في غير نفسه. والرديء فيما يبطنه الناس لا فيما يظهرون . الطاهر لو ثبتت لديه سوء النية يرى سوءها من الانحراف الروحي ، مما ليس من العمق لان عمق الكيان الانساني صورة الله . ولا يبقى الانسان في الوجود لو ذهبت عنه صورة

الله. في هذا الجوهر الاخير الذي يفحصه الله تكمن تلك الطهارة الاصلية التي اذا استيقظت تقدر على ردّ الضال من أبعد تيه فقَد نفسه فيه .

انا أعرف أمرين شقائي ورحمة الله . لاني أعرف ذاتي وأعرف نيتي أدرك اني خاطىء ولكن لاني لا أعرف ما هو أعمق من نيتي لا أدين نفسي لان نفسي في أعماقها يدينها الله. كما أني لا ازكيها ولو برّأني ضميري. فالله وحده يزكي ويدين . انا دائماً ابن فضل الله. ومهما اتسعت الصالحات عندي فأني سأقف عند عتبة الدينونة عارياً ومرتعداً منتظراً من الله نفسه حلة العرس .

واذا كان الانسان غير قادر على تزكية الانسان فكيف يستطيع ان يدين ؟ معطيات الادانة أعمق بكثير مما يُكشف لوجدان بشري .هي وراء كل تحليل . ان خطرها الكامن في سطحيتها ، في خلط الظاهر والباطن . وخطرها الأكبر جحود هذه الحقيقة العظيمة ان الله وحده محيط بما في الانسان .

الاحد ٧ تشرين الاول ١٩٦٢

الصلاة

تدرجت الصلاة منذ آلاف السنين من شكل الى شكل ومن عبارة الى عبارة لتصبح تحاباً بين الله والانسان. وهذه ذروة العلاقة بينهما بل هدف الكون وكله ملخّص في لقاء هاتين الحضرتين المذهلتين. الطقوس والرموز والتوقيت، وكلها في الاديان بدرجات متفاوتة، لا غنى للبشرية عنها لان الحس الانساني يؤدى كلمة وتمثيلاً وايقاعاً ولكن قيمتها كلها في انها تجسّم موقفاً من الله صميمياً او هي معراج اليه. وعندنا تجاه الله زلفى وطاعة وتواضع وانسحاق واستغفار. وفيما ندعو نبتهل او نحمد او نمجّد ولكن ه الاحوال كلها ان هي الا صور مختلفة عن الحب الالهي او مَراقٍ له.

لقد أمر الله بالطلب وهو أعلم بحاجاتنا. قال ذلك. ولكن يبدو ان بين الالتماس ومعرفة الله بأمورنا تناقضاً. ومعرفة الله للناس خير لهم وانعطاف. وتقول الكتب المقدسة كلها ان الله يستجيب للدعاء ولكن، بالمنطلق، لماذا وضع الطلب مفتاحاً للاستجابة وحثّ عليه بقوة الوعد. والله لا يساوم على نعمة ولرحمته المبادرة في كل شيء ولا يزيد ابتهال الانسان الربَّ حباً.

فلا يُفهم الابتهال الا وسيلة أراد الاله بها ان يدعو الانسان الى حوار لان الله جعلَتْهُ محبته تواقاً الى الانسان. أراد صلاة الطلب ليس لنشتهي بعض العطايا السماوية او الارضية بل لنبلغه هو فوق الهبات التي تبلغنا.

فاذا أدْرَكَنا الله بالعطاء ندركه نحن فيما يفوق العطاء، نحلّ في صميم قلبه المحب. واذا بالصلاة هنا صلة. وعلى هدى ذلك نفهم أوقات الصلاة رياضة لمداومة الصلة. واذا بيننا وبينه وصال. وعلى هذا الضوء ندرك ايضاً ضرورة تلاوةٍ تتكررُ لنصوص تكشفت فيها خبرة المتطهرين وجاء بها الاولياء والاصفياء عصارةَ مواجهات فريدة كانت لهم في مبرّات الخشوع. في هذا النور الواحد أيضاً ندرك ان الدعاء في قمته لا صيغة له ولا حرف وانه فيض نفسٍ تطارحت وربّها مودة تفوق كل نطق. هذه الصلاة الخالصة تتجلى للانسان اطلالةَ أبد في حيّز الزمان.

ويتلو الطلبَ الحمدُ، ويشكر الانسان بعد افتقار مستجاب وقد خطا في الحوار خطوة المعاشرة. ولكن الشاكرين ينظرون كالطالبين الى أنفسهم. يتذكرون انهم أخذوا. ان هناك فئة تعلو هؤلاء جميعاً وهي فئة المسبِّحين الذين نسوا حتى فقرهم فتجاوزوا الشكر الى التمجيد فما عاينوا الا بهاء وجه الله العزيز فاذا هم في حديث عنه. وهذا هو الحب في ذروته.

ليس صحيحاً ان هذا هو امر نخبة زاهدة متصوفة ولكن شأن من خبر وراء الطلب وفي حوار الطلب من ربه لفتةً فعرف ان الصلاة ما كانت حواراً الا لتصير رؤية.

الاحد ٤ تشرين الثاني ١٩٦٢

جهاد الصلاة

تتطلب الصلاة جهاداً كبيراً لأنها فعل ايمان بأن حياتنا كلها متعلقة بالله فلا نرسم نحن نهجاً ولكننا نجعلها رهن مشيئته . والجهاد في هذا ان ننكر على انفسنا صنع حياتنا لكي يقدمها هو لنا . وما كان استمرار الدعاء ليل نهار وما كان الاقبال عليه بغير ملل سوى تأكيد يقيننا بأننا فقراء الى ما يأتينا من فوق ومحتاجون اولاً الى حضور الله ذاته ثم الى عطاياه .

كانت الصلاة اذاً استمراراً للجهاد الاكبر جهاد النفس ، ومنطلقه . فالنضال الروحي بدونها يصبح نضالنا الفردي لا نضال الله معنا فلا يصل بنا الى عقيم الكبرياء في حين ان اعلان فقرنا امامه باقامة الضراعة يستحضر قوته ويمكننا من الصراع لاننا نستدعي النعمة ازاء خديعة الشر ولا نضع امام هذا الشر ضعفنا وفراغنا . فيتمّ بالابتهال الاتحاد بالله اتخذناه شريك قتال . ووحدة سيرنا — سير الناس وسيره — الى الظفر تعمّق الشركة وتكشف الحب .

يريد الله ان نأخذه عنوة فقد اوثق نفسه لكي نفكه بالدعاء او رمى بذاته في ميدان ودعانا الى منازلته فيه وكأنه شاء ان نكون بدورنا

آلهة ، مساهمين قوّته وقداسته فجعل ملكوته وقفاً على الغاصبين ودنيا الله تؤخذ غِلاباً . بهذا الصراع الذي نقتلع فيه البر « نرى الله وجهاً لوجه وتنجو نفوسنا » .

والمؤمن في مأساة حتى يُلبّى لانه لا يثق بنفسه بل بالرب الوهّاب فيواصل الطلب ليديم الله عليه الهبة فيثبت ايمانه بها ويتعزز رجاؤه امام الكافرين . والاستجابة عنده انطلاقة المجد والتمجيد فيعلو الله في ذهنه وفي روحه وينسكب به على الانام نوراً وهدى وافتقاداً . ويتابع نهج التوسل والاسترحام هذا لئلا يمتحن ربه ويفرض عليه ارادة بشرية زائلة اذ يخشى ان يخلط بين رغائبه ومشيئة الله فيسخّر الله لمآربه ومآربُ الانسان زيف . هو في المأساة الى ان يشاء ما يشاؤه ربه ويستطيب ما يرضاه لتمكنّه الطاعة من رفع الصلاة واقتبال الرؤية .

يعاني المؤمن مأساته بتمزيق ولا اعظم لانه يستطيع ان يعرض عن الله بأمر . انه ينتقل من محنة الى محنة بصلاة ينحدر الله فيها الى مسالكه الوعرة . برهان الله ان الانسان بالصلاة ينجو .

الاحد ١١ تشرين الثاني ١٩٦٢

احبب وافعل ما تشاء

لماذا نؤثّم عملا ونبرر عملاً ؟ او ماذا يجعل الخطيئة خطيئة ؟ هل هو تحريم وضعته قواعد اعتباطية ام حُرِّم ما يؤذي ؟ الاخلاق ليست كما يتصورها الكثير ، شريعة تلو شريعة وحظراً فوق حظر . الشريعة الادبية نفسها لماذا كانت ؟ أللمحافظة على المجتمع ؟ولكن السؤال الأولى بنا طرحه هو: أليست المحافظة على الجماعة نتيجة تفكير مناقبي تحوّل فيما بعد الى قانون؟وعندما يتجاوز الانسان سنن مجتمعه ويموت في سبيل قضية تمجها بيئته ، اذا دعا الناس الى خرق ما ألفوه ، الى تخطي كل حدود حيث تلتقي اعماق روحه بذرى السماء انسمّي هذا اصطلاحاً ، والداعية وحده في صحراء النداء ؟ أليس الاجدر بنا ان نقول ان القوانين شيء والاخلاق شيء آخر على ما بينهما من تماس؟اليست المناقب ثمرة ايماننا بأن الانسان يعلو مجتمعه ويتطلع فوق نفسه الى حيث يجب ان يكون ؟وبهذا التطلع نفسه يشرع في ان يكون ما يجب ان يكون. ذلك لان الصورة التي ينظر اليها انْ هي الا فيه ولكن حجبتها عنه العادة وثقل ماضيه ونزف ذلك الجرح الذي يؤلمه في صميم نسيجه البشري .

ليست الاخلاق عصا من حديد نكسر بها طبيعتنا الاصيلة . فأنت

خلوق على قدر ما تضمد الجرح وترفع الاثقال . فأن انت ذبحت الشهوة المفسدة المضادة للجودة الكامنة فيك تعاظمت حريتك وتحققت انسانيتك وانفكت قواك الروحية من عقالها بعد ان كانت اسيرة الشر الدخيل . وهكذا ما كان الخلوق سجين سنن تكبّل . ان هي الا معارجُ ارتضى تسلقها ليصل الى حقيقته . وما يسمى بالتضحية ما هو الا ازاحة عثرات الشر من الدرب المنير ذلك الذي نسلك بعد ان تصفو النفس للخدمة لان المآثم قد تهافتت امام ناظرينا تهافت الزجاج عند ضربة الحصى. اذ ذاك تتحقق كلمة اوغسطين : « احبب وافعل ما تشاء » لانك ان احببت حقاً يستحيل الشر عليك وتمضي في مسالك الطهر بالقوة نفسها التي عند المجرم اذا أجرم . الخير في زخمه مثل لهب الشهوة . حيوية واحدة تجمعهما . ليس الله عدو الحيوية ولكنه يريد لها هدفاً بنّاء للانسان . ليس الله مخترع شريعة بل كاشفا لشريعة مسجلة في كياننا صار الانسان لها جاهلا . أهمية الايمان هنا ان ندرك حقيقة المناقب التي بها ينادي قبل ان نمارسها، ان نثق بأنها باب الخلاص. فأذا ولجناه واصبحنا غلاّبين في المحبة ، مترَوضين على الحلم والتواضع واللطف يتحول ما كان ايماناً الى معرفة ، معرفة من اختبر حقيقة المناقبية وفاعليتها وعزاءها .

عند ذاك الزجرُ والقسر—وهما تهجئة الادب عند البادئين—ينقلبان وعياً ورضاء . والوعي الوجداني شرط من شروط الكيان . ومن مقوماته الاساسية ادراك المرء ان كل فكر يحبل به محفور فيه وفي دنيا النفوس وان كل ما يتعمده اساءة الى طبيعته وطبيعة الناس انما هو انغلاق دون نقاوة الرؤية والاخلاص وحبس للخير الذي فينا دون انطلاقة الحياة .

الاحد ٢ شباط ١٩٦٤

اليقظة

« لا تحب التوقف قبل نهاية الطريق »
(ريما علم الدين)

ازاهير الضفاف تستوقفنا لوعورة الطريق . حر وجفاف وشعور اختناق . والواحات مغرية . حسب القاصدين محجة الله ان يعرفوا الواحة سراباً . في مكان ما في الصحراء واد . انه هناك عند آخر المطاف . وفيما تعدو الاقدام على الرمل المحرق لنا «صدى وجود النبع» او أكثر . ندى في البرية او نسيم . نهلة من ينابيع الفردوس القائم هناك على أطراف البادية .

ناموس كالرياضيات دقيق . ان كل وقفة تخلّفٌ عن المناهل . يهون التعب عند الرؤية ، اذا جاءنا من وجود النبع صدى والصدى بعض حضور . تغاض عن العطش بغية جنّات ريا . وللجنة قبل بلوغنا اياها شذى . انها تعزيات العبير قبل أوان القطاف . الانتظار مشاركة .

والحق ان الفرح المشع من الوثبات ليس مثله شيء . « تذبل اللذة امام الفرح كنور مصابيحنا عند بزوغ الشمس » (برغسون) . فقط الذين عرفوا هذا الرضى قادرون على أقتحام البوادي ومعرفة الواحات

سرابا . وحدهم يتقبلون ملاطفة الانسام فتنقلب الرتابات ظروف تسبيح وما كان عند الناس ضجراً يضحي عندهم صبر جهاد .

وعلى قدر ما تشتد الرؤية وضوحاً يزداد التجلد . ولا يمسي النضال ملأ الا لمن رآه سيف شريعة مصلتا . من شاهد الفردوس كله في نفسه تصبح نفسه هذه مصدرحق وحرية . وينجلي لها الحق على قدرتطهرها واذا بها تنظر الى الوصية كأنها نابعة منها . وما كان بالنسبة الى الناس حرماناً هو عندها تقدم في معارج هذا الملكوت الداخلي الذي تنال منه بركات استقلالها وبالتالي طاقتها على الخدمة . فعلى قدر تنزهها عن المخلوق تحب وعلى قدر عزلتها تقترب . تتّحد ولا تمتزج . تبقى، وهي للجميع، في سرّها . وهي ابداً في فرادتها في كل مألوفات العيش. ليس خارج البسيط والعادي يكمن خلقها . تتوغل في سبل الخفاء خشية تحكم الأنا . ذلك لان سادة عليها بالتواضع تكشف لها مجالات الفردوس .

ولكنّ الامر الوحيد الذي لا تعرفه تواضعها لذلك هي في سعي مستمر من أجل حظوة ربها . تسترضية لئلا يصرف وجهه. شيمتها الا تطمئن الى وجه الحق الذي صارت اليه لانه قد يحجب عنها كمال الحق. لقد ادركت ان كل مأثرة في هذه الدنيا انما هي بدء وان كلاً منا وليد للدفقة السماوية التي تنسكب عليه . ليس هناك من قوى تتراكم . نزوة واحدة اذا اطعناها كافية لتهديم حياتنا الروحية جميعاً . لم يعط الله أحداً ضمانات ما لم يبلغ في جهاده حدّ الدم . نعمته تتلقاها اليقظة .

الاحد ٢١ حزيران ١٩٦٤

في دنيا الرجاء

« الرجاء ، هذا هو الذي يحيرني »
« شارل بيغي »

الرجاء لايرادف الامل فالأمل دائماً انطلاقة الى المستقبل ، تخيّل صحة او مال او تقدم ، قفزة في الزمان ، خروج من الآن الذي نمقت . خلع نير انفلات من حقبة زمن الى حقبة آتية لاعتقاد الانسان بخلق جديد تأتي به الايام في تقلّبها كأن ساحراً سيخرج من هذه الدوامة سحراً حلالاً وكأننا سنُلقى حتماً في غمرات السرور . ولكنّا عالمون بأن الزمن ، بحد نفسه ، مجرد دوران ، غير خلاّق ، قيمته مما يدخل اليه من علُ بنظر مَن له عينان كل شيء صائر الى الموت . المؤسسات كلها ، الاوطان كلها . الجمالات التي نعرف ، جميعها ، في سبيلها الى الانقراض . الموت ، الموت وحده هو الحقيقة .

ازاء هذا كله اذا نفينا الامل ، ان قلنا انه ليس من الايمان فما يعني الرجاء الذي ميزناه عنه كل التمييز ؟ نحن لا نرجو شيئاً ولكنّا نرجو كائناً ، ذلك الذي نصرخ اليه من عميق الوحشة والبلى البعيد . لمن فقد الصحة والمال والاصحاب ، لمن كان وحيداً ولا من يعزي ، الرب ، في

لطفه ورحمته ، هو وحده هذا الوجود الذي يخلق ويحيي.هذا الامتداد اليه آتياً بالنعمة والحق والرأفات عندما نعي الزمن مجمداً خانقاً ليس توقاً الى ما هو أفضل في دنيا الحس ولا دنيا المعرفة او الكسب . ليس الرجاء توقاً بالمعنى الصحيح بقدر ما هو حضور الذات الى ربها وامتلاكه عندما ينفلق الكيان او يكاد .

الخبرة اليقينية الكبرى ان لنا – بالايمان وحده – استعادة حياة في كل تقلص حياة . اذا كان الله نفسه هو المرجو وقضيته وحدها المبتغاة فاليسر في وسط العسر والعزاء في ثنايا التمرمر . التجلي في صميم تفاقم الألم والتحير . الحياة الروحية ان هي الا دفقات حياة في تراكم ميتات. الرجاء يعني تلمس الحياة ورؤيتها من خلال هـذا الموت البطيء الذي يتأكلنا . وجودنا انحدارات كيان ، ظهور دمامل . الانسان يُدخـل النعمة الى داخل الجراح فتتعايش الأوجاع وعطايا الرب حتى يأتي اليوم الاخير وتنفقىء هذه الدملة الكـبرى التي هي الانسان وتنفجر من الموت نفسه قوة القيامة . روحيّة الرجـاء ان نسعى الى السلام الذي يغلفه شقاؤنا ، الى الجمال المختفي تحت البشاعة .

الراجي ليس بانسان متحمّس . المفارقة في موقفه انه ينطلق من صميم اهترائه . ينطلق من واقعية تكاد تكون ساخرة، من واقع وجود كله « لعب ولهو وزينة وتفاخر » . الحماس ناتج عن أملنا بالأفضـل . والرجاء لا يزيل شيئاً من الوضع ، لا يخفـّف من وطـأة المحنة . يبقينا أمامها ، فيها ولكنه ، في آن واحد، يدعو الله للحلول في نسيج آلامه، في صميم مواجهته لما يلازمه من ضعف. في المقامرة الكبرى التي نحن فيها جميعاً مشتركون ، الراجي عنده ، حتى النهاية ، ورقة الله ليلعبها .

الاحد ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٤

صلاة الصائم

الصلاة قرين الصوم حيثما وجدناه فكأنما هو تهيئة لها وكأنها هي تمدّ الانسان بالقوة التي يسلبها الجوع منه ، هي حتماً تصرفه عن تركيز اهتمامه بالطعام وتخفيف وطأة الحرمان عليه . ولكن ثمة ، عند أهل الخبرة ، ما هو أبعد من ذلك . فأنها ، في هيمنتها على الكيان ، تعطيه فرحاً وخصباً وحيوية وبها يبلغ الانسان اتزانه . وبدون حياة الصلاة يمسي الصيام مجرد فريضة ظاهرة خالية المعنى .

والصلاة نفسها يجب ان تتوفر فيها شروطها الباطنة حتى تملأ الصيام معنى وتجعله مجاورة لله . وبها يصبح رياضة روح ومجال حوار مع الخالق . الصلاة المستمرة او الصلاة العقلية كما يسمّيها اعلام النصرانية تضبط العقل «والعقل ماثل في اصول النزعات الشهوانية كلها» (غاندي). وقد قال هؤلاء الاعلام ان الصائم كثيراً ما تتجاذبه الشهوة كما رأوا ان اخماد شهوة الجنس يستحيل من غير صيام. فالتفكير بما سوف نفطر به يعطي العقل متعة لطيفة تعطل فاعلية الصوم الروحية وترده الى مجرد رياضة بدنية .

ومن الواضح ان الصلاة الحقة التي تفيد وحدها القائم بجهاد الصوم

هي تلك التي نعقلها فيصرف العقل عند ذاك الىما فوقه ، الى الملكوت ويكون الكيان الانساني كله في حضور الهي . الغفلة تلاشي الصلاة كلياً والصلاة تحديداً « تمسكن وتواضع » (حديث) . فـأذا كانت الصلاة ذكراً وتضرعاً وحمداً ودعاء وكان المصلي غافلاً فمن ندعوه ونشكره ونذكر محجوبٌ عن المصلّي وما قامت الصلة بينهما . واذا كان القلب حاضراً مع المعنى فالانسان في تطهر وصلاته عندئذ ناهية عن المعصية ومن اجل هذا النهي كان الصوم كله .

اذا حضر القلب ولم يَجلْ في الهمم الدنيوية تصبح كل عبارة في الصلاة غذاء للنفس ، فيتجلى لها جلال الله وانعطافه عليها وتتكشف لهـا ، بآن واحد وبسبب هذا التجلي ، حقارتها فتستكين الى ربها بالانكسار والخشوع وتنمو بالاخلاص . وهذا الاتصال يزيدنا معرفة بالله لكونـه اختباراً للطف الله وصدقه ورحمته ورضاه . فيثب الانسان من الايمان الى الرجاء فيصلي صلاة اليقين .

بهذه الصلاة اليقينية وحدها تلبى حاجتنا الى الله . يمتلىء فراغنا ، يكتسب صيامنا معناه ، يصبح وثبة . جسد الصائم وقتئذ كروحـه تسبحةٌ .

الاحد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٥

أمام الجلجلة

ليس هيناً على احد حمل الصليب . لذلك كانت كل محاولاتنا ان نرفعه عن مناكبنا لنرهق به الآخرين او سعينا الى تحريف معناه كي يزول ثقله زوالاً كلياً .

وكان اول انعتاق منه ما قام به قسطنطين الكبير — عن حسن نية طبعاً — حين وضعه على اعلامه . فاختلطت ، عند ذاك ، في اذهان الاجيال غلبة النفس وغلبة الاعداء. فصار الظفر بالبربر شهادة على نصر الله للملوك المؤمنين . كذا رتلت ملايين من الناس وتوقعت من السماء فتحاً مبيناً . والتمست من ربها ان يرفع شأنها ويعزز منعتها . ورأت في قوتها دليلاً على رضاء الالوهة كأن الملكوت مستنفر لترسيخها او كأن الابدية ما انكشفت علينا الا لنتباهى .

هذا حلم يدغدغ الكثيرين شرقاً وغرباً كأنهم لم يتعلموا شيئاً من عاديات الدهر ولم يفقهوا حرفاً من تواضع الناصري ولم تبلغهم نفحات من روحه .

« ليس الصليب حديداً كان بل خشبا » تفيد حتماً ان اداة المحبة التي عناها موت السيد لا نستطيع ان نجعلها وسيلة من وسائل الكبر الطائفي

مالرو، بالحري ان الانسان يموت بموت الله واستنتجوا ان بعض الانسان انما يقتضي ايقاظ الله فيه . يتبنون النقد الماركسي لله والدين . يرفضون إلهه الممسوخ ليعبدوا إلهاً حياً هو غير الصنم الذي وصفه ماركس. يومان قضاهما هؤلاء الشبان منصرفين لا الى جدل رخيص بل الى دراسة ولا أعمق من أجل تفهّم عقيدة لا تزال من أصلب العقائد التي انتجها دماغ الانسان . ولكنهم قالوا نحن مع ماركس في رفضه لاستثمار الانسان للانسان نحن نرفض الرياء البورجوازي ، نشجب لا أخلاقية الرأسمالية المفضوحة . قالوا: رفضنا للالحاد الماركسي لا يسوغ أن يقودنا، بشكل ما ، الى أي تحالف يميني على مستوى الحياة الطلابية . يجب ان نعبّر اجتماعياً وليس فقط بالكلام عن وحدتنا مع معذّبي الأرض . ولذلك سوف نلتزم الدنيا . لن يكون لحركتنا ، وهي مؤسسة دينية ، أيّ رأي في السياسة والاقتصاد . ولكن كل منّا بمفرده وفي وطنه ينبغي أن يتخذ موقفاً سياسياً . يجب أن يكون ، في الواقع لا في الوعظ، مع المظلومين والمناضلين في سبيل الحرية. وقد يكون موقف كل منّا ممزقاً لأنه قد يكون وحيداً في بيئة تؤمن أنّ المحافظة مرادفة للدين. وبالضبط ولاؤنا للمسيح يقضي برفع الدنيا اليه ، بده فيها بالمؤسسات والنظم ، بترجمة الله فعلا خلاّقاً في التاريخ .

وجد الشباب النبرات النبوية الأولى . وفي مواجهتهم لكنيستهم الجريح لم يتسمرّوا على وضع فيها رهيب . ولكنهم تأملوا فيما ينبغي ان يلتزموه حياة روحية وعمقاً ثقافياً ووثبة اجتماعية ، صراعاً ملموساً في حيّز هذا العالم الذي فيه يتجلى ربهم . هكذا يؤمنون . بواكير للفكر، تحفزات للعمل نهدت في جو مفعم بالاخلاص ، معبأ بالمحبة . هذه كلها دعتنا الى رؤية البهاء في آفاق بلادنا .

الاحد ٢٨ آب ١٩٦٦

الصحراء

اعرف ان اجري مثل الماء في رئة الصحراء

أدونيس

قد أتكلم يوماً عن موحيات التوراة او ايقاعها الداخلي في « كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل » الذي أتحفنا به أدونيس ، ولكنه هو الذي أعادني اليوم ، في هذين البيتين ، الى موضوع في الادب الديني شيّق وبالضبط الى اشعياء الذي أشتمّ بعضاً من نَفَسِه فيما كتبه شاعرنا الكبير. « ستفرح البرية والقفر وتبتهج البادية... هوذا إلهكم ... حينئذ تتفتّح عيون العمي وآذان الصم تتفتح وحينئذ يطفر الاعرج كالايل ويترنم لسان الأبكم اذ قد انفجرت المياه في البرية والانهار في البادية » (اشعيا ٣٥) .

من معاني الصحراء في الكتاب المقدس انها مدى هجرة وبالتالي ملتقى الله . « الذات في اسراء صوفي » كما تقول خالدة سعيد حتماً عبر بادية ليقينها بأن « السراب ينقلب غديراً » (اشعيا) . هناك عند لقاء الرب ، في جفاف الانسلاخ عن المخلوق (وبمحبّة كاملة معطاء لهذا المخلوق) تجد الذات نفسها في اسرائها دونما سراب . الهجرة شرط التحوّلات ولكن الشرط الاساسي الآخر هو القِبلة وقِبلتنا في أعماق

البادية نفسها ، « في رئة الصحراء » .

المسرح الجاف المتحول فردوساً يزداد معناه جلاء عند نبي آخر هو هوشع وكانت امرأته زانية فأراد توبتها فقال : « لذلك هاءنذا اتملقّها وآتي بها الى البرية واخاطب قلبها واعطيها كرومها من هناك ... فتغني هناك كما في أيام صباها »ثم يتكلم النبيّ عن عهد مع وحش الصحراء وكأن الالفة مع الله جعلت لنا كل شيء أليفاً . وهناك في البادية المتحولة الى جنّات يقول هوشع عن زوجه الراجعة «واتزوجك الى الابد اتزوجك بالعدل والحكم والرأفة والمراحم » .

مسرى الرب في الكون جعل من نسمّيه اشعيا الثاني يقول: «صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب واجعلوا سبل الهنا في الصحراء قويمة » . وقد رأى كتاب الاناجيل ان هذا القول تحقّق في المسيح. في عودة الرب الى العالم ، في هجرته الينا يتجلى ونعي نحن ان « كل بشر عشب وكل مجده كزهر الصحراء » (اشعيا ٤٠ : ٦) .

ثنائية جنة الارض والبادية نحياها نزاعاً أبدياً حتى نفقه ان الصحراء تحمل الفراديس في ثناياها . انها ستنكشف من تحت الرمال ان ارتضينا حرارة البادية وعزلتها . هناك تظهر المدينة الجديدة . أجل هجرة في أقاليم النهار والليل حتى تتمّ الكلمة : « وأراني نهر ماء الحياة صافياً كالبلور خارجاً من عرش الله والحمل في وسط ساحتها وعلى جانبي النهر شجرة الحياة ... ولا يكون هناك ليل ولا يحتاجون الى سراج ولا الى نور الشمس لان الرب الاله ينير عليهم » (رؤيا ٢٢). حياة هي انتقال من مجد الى مجد كما يقول بولس او قل هي «نور على نور » . تحوّلات لا يُنطق بها الا في مقامات الحق .

الاحد ٢٠ حزيران ١٩٦٥

التحول من الأرض إلى السماء

في الأديان الكبرى تنحني السماء على الارض كائنة ما كانت وسيلة هذا الانحناء . وكان الله – لا الانسان – مركز الفكر الديني وكان الوحي مجال هذا الفكر . ولست بقائل ان الأديان هذه قد أضاعت الانسان مبدئياً في خضّم الوحي ولكنها لم تستغله ، كقيمة دينية ، الاستغلال الكافي . فقد نظرت الى الوحي من حيث هو اكثر مما امعنت النظر في الانسان مهبط هذا الوحي. ومع أن احدى هذه الديانات، جعلت المسيح ، بوصفه إلهاً متأنساً ، هدف تأملها الا" ان ألوهته طغت ، في أذهان المؤمنين به ، على ناسوته طغياناً كبيراً . واعرضت المسيحية – في الواقع التاريخي – عن رؤية ناسوته في مسيره الدائم نحو الله. التجسّد لا يكتمل سره ما لم ننتبه الى ان المسيح كان في حركة صعود الى الآب. واذا كان المسيح يحتوي البشر جميعاً في ذاته فأنهم كلهم قادرون على هذا التصاعد الى الالوهة . وبواسطة أجسادهم المتصلة بالكون دُعي الكون ايضاً الى اقتحام السماء .

ماذا يعني هذا على الصعيد العملي ؟ يعني ، فيما يعنيه ، ان الفعل الديني ليس فقط الاستماع الى كلمات الوحي بل بنيان الارض . هذا لا يقود حصراً الى تقارب وتعاون بين أهل الأديان الموحّدة مثلاً. يكون

تنكراً لغير أهل الايمان او اعراضاً عنهم كي نبني ، نحن المؤمنين بالله ، قسماً من الارض وهم قسماً آخر منها . ذلك لان الارض واحدة أولاً ولأنّ الايمان ليس ما نظنه دائماً كذلك. القضية ليست قضية تسميات. فانقسام الدنيا ليس بين مؤمن اسمي وملحد اسمي ولكنه بين اهل الصدق واهل الخداع الى أية فئة انتموا .فاذا كان المؤمن الأسمى لا يريد مكافحة الجهل والمرض والجوع او اذا كان — وضعياً — لا يعمل شيئاً لهذا الكفاح فأنه مع أهل النفاق. وان كان من سمى نفسه لا دينياً يحب الانسان حقاً ويسعى الى حرّيته بمعناها الواسع فأنه مهمّ في اعداد ملكوت الله لان الملكوت ينطلق من ههنا او لا يكون . ان حنين الملحد الى العدل فيه من نفحة الايمان اكثر من صلوات كثيرة . ولذلك لا يعني التآلف بين دعاة الايمان شيئاً ما لم يعنِ اولاً بناء واحداً لهذه الارض .

وليعمرْها مَن يشاء لان الله وان لم نذكره في بدء هذا التعمير فهو بلا ريب في آخر العمارة ، عند نهايتها . لن تنغلق الارض على بنيها ليختنقوا بدون إله . فالسماء قادرة على شق السقف النحاسي الذي يرغب بعض أهل الدنيا في اقامته فوق رؤوسهم ليمنعوا الله من العودة الى الارض . الكون عندما يبني ذاته فالرب يحتضنه لا محال . والحق اننا جميعاً ، ملحدين ومؤمنين ، ابناء الله ولا نستطيع ان نهرب من احتضانه . ليس الفرق في الواقع بين من يعرف ذلك ومن لا يعرف ولكن الفرق كله بين من يعمل ومن لا يعمل . في يوم من الايام سيرى اللاديني ان العدالة والحق اللذين من أجلهما يكون قد عمل انما هي فيض من وجه ربّه .

ولكن قبل وصوله الى تعرّف اسمه المبارك يكون هذا الانسان في طريق الجهاد من اجله تعالى . لماذا لا نكون معه ، جنباً الى جنب،

في جهاد واحد؟ أليست هذه أفضل طريق لنكشف له ان القيم التي من أجلها يسعى هي ، بالنهاية ، الله عينه . جهاد مشترك ، تحت ألوية مختلفة ، في سبيل المسمى الأحد الذي نعبد .

هبوط السماء على الارض ، ترجمة السماء برسالة يقينية أمر لا ينفذ الى قناعة الانسان الحديث ما لم يحس ان المؤمن يشاركه فعلاً هواجس هذه الارض ويريد ان يجعل منها مقر إلهه بالانصاف والمراحم .

الاحد ٢٥ تموز ١٩٦٥



انقاذ الغير

الدافع الرئيسي الى الحياة الروحية الطاعة لله . علاقة عمودية بهذا الذي تكلم واوحى . خضوع ايماني تقوّيه خبرة الاتصال الداخلي بالاله الخفيّ في اعماق النفس . هذا هو الركن الذي تبنى عليه المشاركة بين الخالق والمخلوق والتي منها ينطلق المرء الى كل عمل صالح .

غير ان ثمة دافعاً آخر، تكملة لذاك، عبّر عنه احد الكتبة المعاصرين بولس يفدوكيموف حيث قال ان المؤمن « يبحث عن التواضع ونقاوة القلب لينقذ القريب »(راجع كتابه بالفرنسية : عصور الحياة الروحية، باريس) . أجل، لقد اكّد القدماء كثيراً على الطهارة من أجل الشهادة لله والقدوة . ولكن عندنا هنا تأكيد اوضح ان الآخر غاية قبل ان اصل الى غاية الغايات، الله. الصلة لا تقوم—على الصعيد الروحي الداخلي— بيني وبين ربي وحسب بل بيني وبين الآخر . « من اجلهم اقدس انا ذاتي »، يقول المسيح أي من اجلهم سأتقدس بشهادة الدم . في سبيل الآخرين انحصر في المحبة، أكافح الزلل والهوى لاكون حراً، حاضراً للخدمة .

عنصر الانتباه للآخرين شرط خدمتهم . ضد هذا الأنتباه غفلة

المعصية ، تسلية المعصية . واليقظة هذه اذا تمت لي وقتاً وغابت اوقاتاً فمن الممكن ان يحتاج الآخر اليّ في حال غيابي. قد تضيع فرصة خلاصه بسببي الى الابد .

خلاص الناس مرتبط بالناس، ينقله البشر بعضهم الى بعض بالانعطاف الذي تمليه المحبة والتأني الذي يدفقه الصبر . ولذا دعي المؤمن الى صقل فضائله بمراقبة النفس لقمع الشهوة التي تحجب عنا رؤية الغير وحاجاته .

لماذا يقول يفدوكيموف : التواضع ونقاوة القلب شرطان لانقاذ السوى ؟ التواضع اولاً لان ضده الكبرياء هي التعظم كما يقول المحاسبي. والتعظم يفصلنا كلياً عن الشركة الانسانية . المستكبر – وهو تحديداً مكتف بذاته – لا يستطيع ان ينتبه ولا يقدر بالتالي ان يعطي . اما المتواضع فيعطي بسبب من فقره . انه يظن انه لا يملك شيئاً ولا هو يعرف قدر نفسه . لذلك يرى الناس غناه ويقدرونه قدره فيرتفعون بأتصالهم بشخصية روحية .

اما نقاوة القلب فهي الرؤية البسيطة للناس والاشياء ، رؤيتها كما يراها الحق (على قدر ما يستطيع الانسان ان يداني الحق) ، رؤيتها بعين الله نفسه اي بالرحمة الشاملة . « ان كانت عينك بسيطة – مثلما الله بسيط – فجسدك كله يكون نيرا » . اذن تقبلت تلك الصبغة التي تجعلك شفافاً للنور الالهي وتمكّنك من رؤيته في الخطأة . عند ذاك تردّهم الى حقيقة الرب الكامنة فيهم والتي لا يستطيع اثم ان يبيدها . الانسان يرتد الى ربه عندما يكشفه في اعماق نفسه اي اذا رأى نفسه غير مطروح خارجاً هذا البحر من الحب الالهي .

عندما تنتابنا نزوة لنلتهى بذواتنا فلنذكر اننا ننكفىء بذلك دائماً عن الآخرين وان انساناً قد يهلك بسبب هذه الغفلة .

الاحد ١٧ تشرين الاول ١٩٦٥



سماء على الأرض

آخر كتاب وضعه بالفرنسية فيرجيل جيورجيو : « من الساعة الخامسة والعشرين الى الساعة الابدية » ذروة بلغها الروائي العظيم . انها سيرة ابيه الذي كان كاهناً فقيراً في رومانيا ولكن السيرة بلغت من القدسية حد الايقونة وفي الرونق الادبي كثافة شعر داخلي ،

الكاتب الذي أمسى كاهناً منذ مدة وجيزة يرى ببساطة بلورية حياة والده الذي كان يخدم مئتي نفس يعيشون على رقعة طولها ثلاثون كيلو مترا كان على بطل الكتاب ان يمشيها او يمشي بعضاً منها غير مرة في النهار للصلاة والمؤاساة والرعاية . ولعل البطولة في الكتاب منسكبة ايضاً على هذا الشعب الذي يسمي نفسه الخالدين . كل هذه العلاقة بين القس ورعيته وولده يحكيها هذا الاخير ببعض من شطحات الخيال يمليها الحب البنوي الشفاف . ولكنه خيال ممزوج بخيال لاهوتي أصيل بحيث لا يضغط هذا على القصة ولا تصبح هذه أدباً تقوياً . جيورجيو الاب عملاق سماوي ولكنه يتجذر في تربة بلاده وتاريخها ، في عائلته ومشاكل فقرها ، لا يعرف الهروب الا ذاك الذي يتجنح الانسان به ليرتقي من الناموس الى الرحمة .

أقوال كثيرة من آباء الكنيسة وعبارات الطقوس الارثوذكسية منثورة هنا وثمة . كانت هذه ضرورية لتتركز عليها تلك السماوية التي تطبع الكتاب من أوله الى آخره. «كل خدام القصور ومنازل الامراء الكبيرة بعد وقت ما يقلدون صوت سادتهم ونبرتهم وكلماتهم . هذا ما صار لابي المسكين الذي كان خادماً لله أميناً . نظرته الملكية ، صوته السماوي العذب ، مشيته اللاهيولية كطيران الملائكة ، هذه كلها التي جعلت منه كاهناً اقرب الى الملائكة منه الى الارض ، هي صفات الله معلمه . فأن أبي كان يقضي كل يومه مع معلمه » .

في هذا الكتاب الملحمة ألمعبدُ هو السماء. العبادة هي اجتياز الهوة بينها وبين الارض . رموزها مرقـــاة وجبل التجلي . « كل كنيسة هي في السماء » . ولكن هذا التصور وُلد في عقول الشهداء. كان الدم ثمنه جيلاً بعد جيل . تصور احتضنه فقر كهنة بائسين لم يتأففوا. سلالة من الفقراء الخالدين كانت وراء بالهبات هي أدنى الى الشعر الغزلي منها الى القياس العقلي . « لماذا لا توفر عليك رعيتك التعب ؟ » فيجيب الوالد : « أنما الكاهن مماثل لابن الله . ولا يحضر في بال مسيحي هذه الخاطرة الجاحدة ان الله تعب او ان الله نعسان او انه موجع الرجلين او انه جائع. الناس يسألون الله كل شيء ، في كل ساعة ودون ان يقرع بابه .

– ولكن الكاهن مع ذلك انسان ، قلت .

– كلا اجاب ابي ليس الكاهن بانسان بل ذبيحة انسان تضاف الى ذبيحة الله » .

هذا الكتاب القصيدة كله على هذا النمط تتخلله آلام كبيرة معمدة بنور . لقد استطاع جيورجيو ، في هذه الرائعة، ان يصبح كاتب قصة

القداسة الشرقي . والقداسة لا تدخل بسهولة عالم الفن . ويختلف عن برنانوس ، روائي الكاهن الكاثوليكي ، ذلك ان بطل جيورجيو ليس عليه مسحة التأزم وهاجس الخطيئة . يحيا على الدوام في غمـرة الفصح دون ان يتيه في الطوباوية .

جيورجيو يطلق النار من وجه الكنيسة الشرقية الدامي أبـــداً ويكشف لنا حضوراً لها في العالم صافياً .

الاحد ٦ آذار ١٩٦٦



على أبواب الصوم

في دفاع عن النصرانية يعود إلى القرن الثاني يقول صاحبه عن المسيحيين أنهم ، لكونهم فقراء ، يساعدون بعضهم بعضاً . أي أنهم يمسكون عن الطعام لينفقوا ثمنه على المحتاجين . فالركن الأوّل لصوم الجماعة كان ، تاريخياً ، الإنسان الآخر. الصوم ينبعث من المحبة ويلازمها ، فيحتال المرء عليه إن لم يكن مكتفياً بالقليل ، جامعاً عنده ما تيسّر لعطاء مبرور . هذا ما نجده في الإسلام أيضاً فريضة وآداباً .

التقشف، وهو من أركان الإمساك لا يغدو عند ذاك مبرّة فريدة يتبارى فيها الصائمون ولا يكون غاية . الآخر وحده الغاية . فعندما ينغلق المتقشف على نفسه ويُسَّر بحال تعبّده يعبث كالمرَّائين ويكون قد استوفى ، في الإعلان أجره (متى : ٦ - ١٦) . « وأمّا أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء » . يعرض الصائم عن أكل وشرب لتظل عيناه شاخصتين إلى رب يُخطف إليه . وعنده يتعلم الرفق فيعود به المخلوق .

هذا الإعراض عن الطيّبات رمز ورياضة لزهد أبعد . الصيام ،

في أعماقه ، مدرسة العفة فإن لم يحتل كل مداه يبقى المؤمن في تمزيق يتراءى له ضعفه . يكشف الصوم تقصيرنا الكياني : يفضح رياءنا ، يوقظنا إلى وهن وجب تجاوزه . يرمينا في الوثبة حتى التبلور الأخير .

نحن في الصوم نواجه دائماً تأكيدين متلازمين : أوّلهما أن لا تنقية للنفس دون مواجهة رصينة لقضية الطعام بالإمساك الكلّي أو الجزئي أو النوعي . وأمّا اصطراع الشر فيتمّ في الإنسان الكلّي روحاً وبدناً . وبذلك كان الحد من الصوم إلى ما يقرب الإلغاء ، في بعض من النزعات الحديثة ، تغرّباً عن الحياة الروحية ومساومة مع ميول العامة .

والتأكيد الثاني هو أن الإمساك الظاهر إن هو إلّا طريقة لامتحان القلب . « الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سَيُبيد هذا وتلك » (١ كورنثوس ٦ : ١٣) . نسلك من المرئيات إلى غير المرئيات . « إنكم للخصومة والمشاجرة تصومون ولتضربوا بلكمة النفاق . . . هكذا هو الصوم الذي اخترته أن يذل الإنسان نفسه يوماً . هل أن تدور مثل الدائرة ويفرش مسحاً ورماداً . . . أليس هذا بالحري صوماً مختاراً لي حل قيود النفاق وفك ربط النير وإطلاق المضغوطين أحراراً وكسر كل نير . . . » (أشعياء ٥٨) .

فيصل الإنسان بهذا التخطي إلى الإنسان والله معاً . ينعطف الله عليه فيعطف . يفرغ جوفه ليمتلىء نعمة من عند ربه وفضلاً «فيكسر للجائع خبزه ويدخل البائسين المطرودين بيته » . الصوم عندئذ طريقنا إلى الفرح .

كفاح على جبهات ثلاث بآن : الانقطاع إلى الله والاكتفاء به ، إهمال المغريات ، افتقاد المحرومين . هذه حكمة الصيام في مدنيّة قام إلحادها على شغف المال والجنس . الصوم ، إن فهمناه على هذا المستوى ، إطلالة على حضارة جديدة .

الأحد ٢٠ شباط ١٩٦٦



الضحية ومضحوها

يوم الاثنين يستهل المسيحيون الغربيون صومهم . وبعض منهم سيُصَلِّب الكاهن جباههم بالرماد دعوة إلى التوبة ، إذ يذكّرهم بأنهم تراب وأنهم إليه راجعون . يعون ترابيتهم ليدركوا مصيرهم السماوي . هذه هي القاعدة في إنجيلهم أن المتواضع يرتفع ، أن من يرتضي نفسه ذبيحة يوجد ويلد العالم من جديد . ولكنا بحاجة أن نترجم هذا صدقاً ، فعلاً تاريخياً منسوجاً في الأحداث ، أدب معاملة يومية ، دقيقة ، سياسة إذا شئنا السياسة تعبيراً عماّ قذفه الله إلينا على لسانٍ طَهُورٍ في نبوءة أو تجسد أو رسالة .

وإذا كان المؤمنون قلب الدنيا فإنما هم المدعوون إلى سياستها أيضاً . أفلاطون دعا إلى أن يسوس الفلاسفة الجمهورية . هذا يبقى صحيحاً في ظل عهدنا مع الله ، بعد مخاطبة الوحي لأن الحكمة الكبرى هي عيناً أن يبيد الله حكمة الحكماء ويرذل عقل العقلاء . « فإنه إذ كان العالم ، وهو في حكمة الله ، لم يعرف الله بالحكمة حَسُنَ لدى الله أن يخلّص بجهالةِ الكرازة الذين يؤمنون » . وتجربة التلاميذ ، جيلاً بعد جيل ، أن يحوّلوا حكمة الانجيل إلى حكمة من هذا العالم أي إلى

حذق ودهاء ومكر « والله أمكر الماكرين » . أي أنه يأخذنا بحذقنا نفسه ويبطل دهاءنا . في طرفة عين تهوي كل القصور التي أقمناها على الخدعة ، عندما غررنا بذكائنا فاحتسبنا أن سياستنا مع الناس يمكن أن تغيّر سياسة الله معنا وأنه يجب أن نكون مترفعين وهو منسحق وناحرين وهو ذبيح . إلى الأبد « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً شكّاً لليهود وجهالة للأمم » . الكتاب يرتقب عثرة دائمة ناتجة من كون السيد نفسه « حجر عثار وصخرة شك » للكفرة . والكفر في قلب كل إنسان ، أيّاً كان مذهبه ، لأن الطبيعة البشرية تأنف أن نموت كل يوم من أجل الناس . المسيح ، مائتاً ـ ظافراً ، منتصب أمامنا ، حتى انقضاء الدهر ،وأمام الآب قوة وحكمة .

وهذا ليس بإلهام وبالتالي ليس حقيقة ناطقة ما لم تعشه جماعة على الأرض ، ناس يكونون للمسيح ، كالمسيح لا بالمعنى المذهبي ضرورة ، ولكن كل من مات لأجل الحق فقد اختلط دمه بدماء الناصري . ذاك قد مات على الصليب أيضاً . الشهداء ليسوا على شيء آخر يموتون . بهذا المعنى الواسع صدق الحلاج حيث قال : « على دين الصليب يكون موتي » . هؤلاء الناس الذين كان الحب دينهم وإيمانهم قد احتضنهم الإنجيل بشكل أو آخر . ومن هذا القبيل ليست المسيحية ديناً خاصاً ، مذهباً من المذاهب ، مراسم وشرائع ولكنها طريقة المحبة التي لا تنقبض ، وإذا خلَت المسيحية من هذه المحبة ، بصورة محسوسة ، أضحت « نحاساً يرنّ وصنجاً يطنّ » ، طائفةً راسخةً في ترابية هذا الدهر وبالتالي عنكبوتية في وجدان الأزل .

ولسابق علم الله بالهزالة التي ستؤول إليها قلوب تابعيه « اختار

الجاهل من العالم ليخزي الحكماء والضعيف من العالم ليخزي القوي ، والخسيس من العالم والحقير وغير الموجود ليبطل الموجود » .

في مستوى أعماق المسيح أرجو ألاّ ينبري أحد ليسمّي الصبر خنوعاً والوداعة جبناً وسلوك النعاج انهزامية . فالتخويف لا قوة فيه والتعنيف لا يتشح بالهيبة مطلقاً . وسائل لا أهون منها ! ولكن المهابة فيض الصابرين ، وسلطان المحبين لا أقوى منه . اللطف دائماً غاصب . الذين تحس أنهم لا يبغون من الأرض شيئاً ، الأرض مضيافة لهم . الرقة ترث كل شيء .

ليس ما يقنعني أننا في لغو إذا قلنا هذا . أنا مؤمن أن المسيح حيّ ، أنه نهج لهذه الأرض وأنه بحاجة إلى قلة ينقذ بها العالم . هذه البساطة النيّرة التي نعفّ فيها عن التضحية بالآخرين تنبثق من إيماننا بأن من ارتضى نفسه ذبيحة عن الخطايا لا بد له أن ينتصر بالفرح بلا حساب ولا تحذلق . زعمي أن هذه الأضاحي الكريمة هي وحدها نور العالم وبالتالي سياسته .

الأحد ٥ شباط ١٩٦٧



الشهداء الجدد

رأيت أمس صليباً مضاءً في مقهى . كان فتيان عنده يتلهّون . فالناس مقبلون على عيد ارتفاع الصليب الأسبوع المقبل . أخشى أن يكون هذا المشهد صورة عن حياتنا في هذا البلد . كان الصليب ، في الأصل ، دعوة إلى التضحيات والمصابيح إقراراً بأن النور ينبلج من الفداء . رمز لنسيان الإنسان نفسه من أجل العطاء ، وعد انبعاث . ولكنني أخاف على الناس أنهم يثبتون به أنفسهم بنكران الآخرين كأن البذل لم يمثل مرة على خشبة ، كأن الدنيا لا تزال في انطواء .

ليتنا نطفىء كل نور مصنوع لنصبح نحن نوراً . ليت النور يفيض من قلوب لا تنغلق . متى ينقلب الرمز إلى المرموز إليه حتى لا تبقى الدنيا حكايات ، ليصبغ الجمال الذي أتى مرة كل وجه وحتى نؤمن ، بسبب ما ارتسم على البشر من حق ، أن الحق تكلم وأنقذ ! الإنسان بحاجة إلى خلاص فعلي ، منقول إليه قيامة من بين الأموات . الإنسان يأبى أن يردد قصة جميلة لأن الإنسان بلغ قامة الصدق . ما لي وللقصة إن لم يحيها في عصري بشر سوي . الحدث ، الذي أعاني ، ينطق في ضميري . **وحدها القداسة مقنعة** . إنها وحدها تثبت أن

الماضي قابل للتصديق . حسبها قلة عزيزة تقسو على نفسها ، لا في رياضات النسك المعهود ، ولكن في طهارة تتجلّى في هذا المجتمع المعقّد في عالم السياسة والأعمال والفكر . **قلة لا يغريها مال ولا مجد وتؤهّلها هذه النزاهة أن تكون صدّاعة ، مجنونة .**

ونحن لا نزال في مبادىء الأخلاق إذا اشتهينا ألاّ يتزعمنا دجّال وألاّ ينجح فاسقو التجارة . الطهارة التي ننشد ليست طهرية مستحيلة وتعيشها جماعات كثيرة ، هنا وثمة ، واقعاً يبقى فيه الإنسان على إنسانيته . هذا ليس بعد مجاورة للالوهة .

يكاد الإنسان في لبنان لا يصدِّق أن مثل هذه المناقب ممكنة . إنه لا يزال مقتنعاً أن النفاق وحده ناجح . البلد بحاجة إلى من يتجنَّد ليكذِّب هذا القول، ليدلّ في حقيقة حياته، في صدقه وبساطته، إن الطهارة قوية، فعّالة في عالم السياسة والأعمال والفكر. وإذا تكوّنت عصبة كهذه ـ مهما قلّ عددها ـ يكون «وجودها نداء» . **يجب أن نصل إلى يوم نشكّ فيه أن المداهنة والرشوة والتزوير والتضليل أساليب ناجحة، يوم يحسّ الفجّار، بالأقل، أن ثمة بيئة ترفضهم وأن البلد كله قد يمجّهم يوماً. هذه هي ثورة لبنان التي لم تبدأ.**

الثورة شهادة . من يعطينا أول فوج من الشهداء الأحياء ، القابلين الفقر ، المرتضين الازدراء ، روّاد الحياة الجديدة القادرة وحدها أن تجعلنا صامدين أمام الخيانة ، نتحدّى الأوهام والأساطير ، نمتحن كل شيء ونتمسك بالحسن !

قد يتكلم هذا وذاك عن دور لبنان . قد يكون بلدنا حاضناً لقيم

عظيمة . ولكن قيمة لا تبقى إلى الأبد في نسيج حضارة ما لم تبق في وجدانات فردية ، ترعاها فئات صغيرة . لا شك أنه يجب أن نفكر بأوضاعنا الإقتصادية والثقافية والسياسية ونحن من الواثقين أن في لبنان طاقة رسالية . ولكن الطاقة لا تتحوّل إلى فعل خلاص بغير شهداء . الخلاص ليس بالتأملات ، بالمعرفة ، ليس بالعمل وحده . الخلاص بالإخلاص . إنه محبة . كل كرامة الإنسان بالمحبة .

لبنان رقعة من تراب غاية بقائها تحرير الناس بهذه المحبة التي هي وحدها الحقيقة ، أولئك الذين تخنقهم العقائديات الضيّقة ، الثرثارة ، المكبِّلة ، الناسخة لما هو غير أبدي .

لقد أدركنا بذا مفترق الطريق بين الألفاظي والراهن . **والألفاظية خط يخترق كل المعسكرات الفكرية ويجمع بينها** . كذلك سيف الراهن . الناس ، كائناً ما كان انتماؤهم التعبيري ، في نفحة هم أو في اختناق ، في وثبة أو جمود . **وكل حركة إنسانية بعيدة المرامي ، منبثقة من أنين الإنسان هي حركة إلى الحرية الداخلية ، إلى ذلك الذي نسمّيه إلهاً أو نتمتم وجوده ما اقتربنا من عفة وأمانة** . من هنا تتفجّر القيمة وتدوم .

وإذا كان هذا ما يجب أن يستقطب لبنان فليس لنا أن نسأل عن مكانة وطننا في الجوار والعالم . السؤال الوحيد المطروح أمام ضمائر هذا البلد هو أن يعرف أي إله يريد أن يعبد : المال أم ذاك الذي يصلب الشهوة ، إله ابراهيم واسحق ويعقوب في سر محبته وتواضعه وحقيقته .

الأحد ١٠ ايلول ١٩٦٧



الديانة الحدث

التعليم الديني ، من حيث أساسه وفحواه ، قد يكون مشكلة كبرى إذا لم يكشف وحدة أصيلة بين النـاس ولـم يصـل بالمرء إلى الاطمئنان إلى الآخرين ومعانقتهم بشراً طيّبين . **والصراع العقائدي ، من هذا المنظار ، لا يدور بين دين ودين وحسب بل بين معلّم منفتح ومعلّم متعصّب** وكـلاهما يـؤمن إيمـاناً واحـداً ويذهـب مـذهباً واحـداً بحيث لنـا طائفـة المتصـلبـين العميـان وطـائفـة الهادئـين النيّرين وينتسب كل الناس إلى واحـدة منهما . ومـن الواضـح أن ثمـة عالماً متحجراً وعالماً مرناً . وبعض المرونة آت من المحبة وينبثق من رغبـة الإصغاء إلى الآخر . وكان من الممكن نظرياً أن يتجاهل أحدنا الآخر لما كانت الدنيا منقسمة إلى دارين متباعدتين متنافرتين دار الإسلام ودار الشعوب المسيحية . **ولكن هذا التجاهل لم يبق ممكناً بعد أن تفاقمت العداوة لله في كل أرجاء الأرض** وبعد أن خطا التعريف بالـديانات خطوات جليلة . لا شك أن لدينا كثرة هي أمّية في مذهبها وأبعد في الأمية بالنسبة الى العقائد الأخرى. ولكن الذين يتعاطون المعـرفة لا يستطيعون اليوم أن يظلوا في منأى عن المحاولات القيّمة التي تجري،

هنا وهناك ، في مجال الحياة الروحية ولا يقدرون أن يتابعوا تعليمهم الديني بصورة تقليدية قابتة .

التقليد وهم أمانة . وأمّا الأمانة فأقرب إلى الله منها إلى التفاسير الموروثة . لا شك أن لا أمانة بلا نصوص . **ولكن النص الإلهي شيء وكتب المفسّرين شيء آخر** . الذين يتوخّون العمق ويتطهرون بالمحبة ودأبهم نقلها إلى الآخرين لا يستطيعون أن يوحِّدوا بين ما هبطوحياً وما انتقل علماً وعرفاً . ومن هذه الناحية طلبنا الأمانة وإلحاحنا على خلوص العقيدة يفرض سعياً إلى الجوهر مخلصاً قد تتكشف لنا فيه أنوار لم نكن لنحلم بها هي أبهى من الكثير مما كنا نعطي لكونها عاكسة للضياء الإلهي وهو يتخطى دائماً كلمات البشر . عودة إلى الينابيع ، يقولون اليوم . أن ارتياد المناهل دليل العطش الروحي والعطش هذا فضل من الله ونعماء وإشراق . وأمّا ملازمة آخر اجتهادات العقل في نهج سلفي ببغائي ، فإشارة إلى تقاعس النيّة وزلفى الأذهان وانطفاء الغيرة . وإن كان من ثورة خالقة منعشة فهي في هذا التجاوز ، في هذه الحرية الكبرى التي تجعلنا طلاب حقيقة لا طلاب شعبية . والحقيقة وحدها بالنهاية تنشىء الشعوب .

ولا شك عندي أن كل أديان لبنان يفتقر أهلها إلى حياة روحية جديدة . والحياة تأتي من ناس لا من فكرة . **النصوص فقط طاقات . يفجِّرها الإنسان الحيّ الذي يلتقط مراميها ويتأثرها فتختلط بكيانها وتصبح هي هو . يحياها فيحييها . يكون هو الكتاب والهادي إلى رب الكتاب** . وقد يهدينا إنسان من دين آخر إلى إله الجميع وإلى الحكمة

الأزلية . ولذا كان ينبغي أن نغتبط لكل دفقات الروح النازلة على الناس في كل مكان لأن الروح لا حيّز له ولا شكل .

ومع ذلك فالحياة الروحية لا تنشأ في أحد ولا تمتد منه إلى الآخرين ما لم يتسرّر إلى المحبة . **والمحبة تعني ، في بلادنا ، أن يعترف الإنسان ـ على المستوى الديني الذهني لا العاطفي فقط ـ بوجود الآخرين . أن يمجِّد الحقيقة التي عندهم** ، أن يلتمس الله فيما يقولون ، أن يطلبه على وجوههم . لا يستقيم تعليم ديني في لبنان يتوخى السلام إلاّ بدءاً من كتب جديدة وبرامج جديدة يكون فيها القرين المسيحي أو القرين المسلم قائماً في سحابة من نور . أن يكون هذا أساسياً في التصميم ، أن يكون هاجساً رئيسياً في وضع البرامج . قد يناقض هذا كل ما اعتدنا عليه . **ولكن هل الله يعتاد الإنسان عليه أم أنه دائماً فتح ، رؤية صادمة ؟ الرب يردّنا دائماً كالحدث** . وليس المهم أن نخشى الثقات ولكن أن نخشاه هو . وأنّى يكون وجهه عندنا ذا جلال وإكرام ما لم يكن وجه الإنسان الآخر جليلاً كريماً ! إن المؤانسة التي بيننا ستظل مجرّد ملاطفة تهذيب ما لم نصر ـ على مستوى الذهن ـ على شيء من لقاء . أنا لا أقترح حلاً عقلياً ، لا أعرف أين يصل المسعى . جلّ ما أعرفه أن الطريق إلهية .

الأحد ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٧



الشهادة

« إني أستمع إليك بمزيد الانتباه لأن ما تقوله آت من الصمت »
جوليان غرين

الكلام الذي يحكى هو الكلام الخبرة ؛ أما نحن فكثيراً ما نتحدث لتوقعنا سرور الناس بما نقول بعد أن اغتررنا نحن به . الفرق بين المعجب بنفسه والنبوي السلوك أن ابن الأنبياء يعرف أنه لا يتكلم من عنده وأنه أُتيَ به ، في لحظة من الوجود ، ليؤدّي شهادة . وإذا أعطيت يتوارى كما تتوارى السحابة . من كلّفه الحق بكلمة يحملها عبئاً ، واجباً ، يصير إلى اللاشيء بعد تبليغها . إنه مستقل عنها . تتأكله لأنه مكان إدائها ولكنها ليست له . **قيمته في أنه يشير إلى ما هو أعظم منه . الفاعلية كامنة في هذا الأعظم** .

الكلمة لا تشهد من نفسها . تشهد إذا كانت معبأة بالروح ، إذا كانت طريق دم . أمّا إذا بقيت منطقاً أو بياناً ففعلها اقناع بارد أو سحر .

ليس الشرح عن الحياة ينقل الحياة . ليس تفسير شؤون تتعلق

بالله يكشف الله . الله وجود يعطى أو شيء فينا يحول دون رؤيته . **وليس من جسر يصل بين كلمة نقولها وروح نصبحها** . إذا جرحنا الرب ونقل إلينا دمه نستطيع أن نكون صورة عنه . ولا يشفى المرء من جرح لله فيه . هذا الدم بصيرتنا . الشاهد مبصر الحق الذي في قلبه . « ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره » (الرسالة القشيرية ، ص ٤٧) . الحق يختار لنفسه كلمة ـ رمزاً . والرمز يُشير، يُمهِّد السبيل إلى النبع الذي انحدر منه . **ولكن الينبوع نفسه يجب أن يتدفق وأن يصبح بدوره ينبوعاً في نفس أخرى** . من مسّه شيء من هذا الأصل عرفه . « الذي كان من البدء ، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي تأملناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة لأن الحياة قد ظهرت ورأيناها ونشهد ونبشركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب فظهرت لنا » (رسالة يوحنا الأولى ١ : ١ و٢) . المنقول منقول حياة .

الشهادة عملية ثلاثية العناصر : معاينة لحق وإقرار وموت . إنها دائماً معاناة . الإقرار فيها يتضمن رواية ولكنه قبل كل شيء موقف . إنه لموقف مؤلم لأن العالم أبداً في رفض ويرفض حتى قتل الشاهد . ولذا كلمة واحدة تعني الذي يوقف حياته لربه والذي يبذلها له . سلوك الشهيد تعهّد لله ، احتضان له فيعبِّر عنه بالتزام أو دم يراق . همّ **الشهيد البرهان الذي لا براعة كلام فيه ولا انقداح عقل ولكنه إبداء روح ، انسكاب قوة اليقين** .

الشهود الإلهيون باعثو العالم . غيرهم يبني فيه الكثير ولكنه لا يقيمه من موت . لا شك أن في الشريعة قبساً إلهياً وأن في الكون نفسه

نوراً مطبوعاً وتسجيل هدى . والحكمة التي في بنية الدنيا ناطقة ولكنها ليست بشيء إزاء هذه الشهادة الحيّة الدائمة التي يؤدّيها القديسون . وإذا كان الكتاب يُقرأ من عنوانه فهؤلاء عنوان كل الرسالة الإلهية بل مستقرها . وماكانت الرسالة كلمات وجملاً مصوغة إلا لتتحوّل إلى رسائل حيّة نستدل بها على ذاك الذي كتبها بيد رحمته .

الناس نزّاعون دوماً إلى النوم ، إلى الموت الروحي . ولا فرق في ذلك بين جاهل وعالم إذا كان الموت في خبث القلوب وأحقادها وكبريائها وباطنها . والإنسان ، على المستوى الروحي يصير عيّاً أو أميّاً وتقع الغشاوة على عينيه . **الانقاذ هنا يقظة لا علم وحسب** . فالمذنب لا يشاء أن يفهم أو تقوم الحواجز التي اصطنعها بالخطيئة دون فهمه . الكتب المقدسة لا تستهويه فقد أضحت غريبة عنه . فَقَدَ هذا الإنسجام الذي كان قائماً بينه وبين ما تعلَّم . **الكتب ينبغي أن تصبح شخصاً ، أن تحيا في وجه ، أن تحييها نفس بالمحبة** . الرسول الذي جعل الله حياته هو وحده المحيي ، يكشف الله غفراناً ومصالحة وسلاماً . الايقاظ دائماً شخصي . والهداية التي يحدثها ثمرة ما في الشهادة من بساطة وقوة ولطف ووداعة . الأبحاث والمناظرات من شأنها أن تمهِّد سبيلنا إلى الفهم الروحي ولكنها ليست هذا الفهم . كشف الشاهد لله وأخلاق الله هو المرحلة الأخيرة الحاسمة . وهي دائماً الأساسية بالنسبة للمثقفين أنفسهم ، إبتعادنا عن الرب ليس عملية عقل بحتة . إنها منطلقة من وجود ولا يعيدنا إليها إلاّ وجود .

إن كانت المشيخة الروحية بالمعنى الذي بيّناه هي الأصل فالسؤال المطروح أمامنا هو ماذا فعلنا بحياتنا الروحية ؟ المؤمن بها يقول

إنها ممكنة في كل ظرف ومع الحضارة التقنية . الله يغمر بيقينه كل جيل وينفـذ إلينـا من خلال سقطـات الجيل وحـدوده وأزماتـه . المشكلـة المتروكة للإنسان هي ما عساه أن يعمل لإحياء تراث مكتوب قد يظهر إنسان لتقبله ونقله بصورة فاعلة . قد يعي بعض المؤمنين أن المشكلة التي تواجهنا ليست مشكلة تنظيم لطائفة ما أو مشكلة بحث ودروس وأنها ، **أولاً وأخيراً ، قضية نفوس تحرّر وتبدع .**

قضية الإنسان ليست قضية علم بقـدر ما هي قضية إخـلاص وصدق وإيمان . « معرفة الخير والشر » شيء يصبح صالحاً إن كان في خدمة الحياة ، هذه التي يتجلّى الإنسان بها ويسمو متجاوزاً نفسه يوماً بعد يوم ، ساعياً إلى الإنسان الآخر في محبة .

الأحد ٧ كانون الثاني ١٩٦٨

المسوخ

يهزّ ، حتى أعماق الكيان ، قول صديق أمس : « من الناس من يستخدمون الإنجيل ومنهم من يخدمونه » . هذه دوماً كانت تجربة الإنسان في مواجهته شأن الله . في الأصل نحن ممدودون إلى الله ، نتوق إليه ونريد السير إليه . ولكن نستطيع أن نصرف وجوهنا عن الهدف فنلتفت إلى أنفسنا لنعبدها ونستلذها . فالحقيقة غير مطلوبة إذن والتضحية غير قائمة . الله هو الذي نضحّي به لنبقى نحن إذ نظن أن الذهاب به شرط وجودنا أو نعمى عنه فلا نرى ارتباطه المحيي بنا . الرب ، عند ذاك ، شيء ، أداة نمسك بها لحاجة في النفس ، لقضاء شهوة وكأنه موجود بالكلية ـ هو وكتبه وما إليه من عبادة ـ ليثبت الإنسان أمام نفسه في مرآة الغرور .

ولعلّها هذه المأساة الكبرى في الأديان أن يخلط الإنسان بين نزواته وما سُلِّم إليه في الوحي فإذا به يستعمل سلطانه وظاهر تقواه ليخدع الناس مجلبة للنفع والإكرام . قد لا يكون هذا الرجل سيّء النيّة وقد لا يكون ملحداً بصورة واعية . الملحدون الواعون ، النظريون قلة عزيزة . ولكنه على هذا الخليط من الإيمان والجحود ، من الصدق

والكذب بحيث يستفيد من تقوى الآخرين للسيطرة عليهم . هذه تجربة خاصة محدقة برجال الدين عامة . **الفاجعة أنهم مرغمون على القناع ، أن يفتعلوا الدين في أنفسهم إن لم يكونوا على قدر منه عظيم . الإنسان كثيراً ما لا يكون، مسلكياً، على مستوى عقيدته أو يتدنى إيمانه بسبب فتور يحلّ به** . وقد يطول الفتور . قد يصل المرء إلى تباعد عظيم بالنسبة إلى الايمان المفترض فيه ولعلّه يمسي أحياناً غريباً كل الغرابة عن هذا الذي ينبغي عليه ، مهنياً ، أن يتحدّث عنه . وإذا كان أحدنا لا يعاني الإيمان معاناة نيرّة ، إن كان قلبه لا يلطف بالإيمان ولا يفعم فإلى أين يصير هذا الإنسان ؟ كيف يتكلم والجبّة التي يرتيدها ، بحد نفسها ، كلمة ؟

رجل الرسالة ، إن صار إلى فراغ ، فراغه لا قرار له لأنه لم يألف خارج إيمانه شيئاً . وهذا إذا تلاشى فإلى أين تذهب ؟ يذهب الإنسان عادة إلى نفسه حيث يجدها ، يذهب إلى مللها ، إلى رغائبها هذه التي تستيقظ فيه بعد تواري الإله أو هذه التي طردت الله لأنها استفاقت . أشياء هذا العالم تقلب القلوب . **لكون القلب لم يثبت على الكلمة التي قذفها الرب فيه رحمة وسلاماً لا بدّ له أن يسعى في كل صوب، على غير هدى**. وإذا بكلام هذا الإنسان نفاق وبحياته رواية . كل يوم أو كل حادثة فصل من فصول هذه الرواية . وإذا بالقلب لا يفضل منه شيء على اللسان . وإذا بالمأساة تنتهي إذ يدرك هذا الرجل مرحلة لا ألم فيها . يرتضي القناع الذي وضعه على وجهه جزءاً من مسرحية يمثّلها خير تمثيل . وقد يكون الرجل موهوباً إلى درجة

ضياعه في الدور . هو نفسه ، عندئذ ، لا يدري أنه دخل في مهزلة رائعة .

المهم ألاّ يشكّل إنسان كهذا لنا معثرة . الإنسان جانح إلى نفسه . لا يتخلّص الصالح من عبادتها إلاّ بالموت . **التوبة الكبرى ، التوبة المجنونة التي تسلخ الجلد عن العظام نعمة نُعطاها إذا قبلنا الموت أي إذا ارتضينا أن نذهب عن الأرض ، أن نذهب عن أنفسنا .** لا بدّ أن يفنى فينا كل عشق ، كل تعلّق هوى لنرى أنفسنا مرميين في الحضرة الإلهية ، في تلك المحبة النازلة علينا من فوق . كلنا هكذا . ولكن قوماً منّا يذهبون بالأنانية إلى حدّ يصيرون فيه مسوخاً وكأنهم أضحوا على صورة الشياطين ، آلهة لأنفسهم ، آلهة بحاجة إلى أن تحيط بهم حاشية من العابدين . **إنهم هم الذين يشوّهون صورة الله فينا لأنهم يقوون فينا كراهيته وكأن المرء بحاجة أحياناً إلى موت هؤلاء ليعبد الله** . تجربة كبيرة أن يبقى الله والمسوخ . كيف أحب الله في دنيا شياطين ؟ العثار يصير إلى اضمحلال ففناء إن علمت أن الإنسان قادر أن يصبح للنور عدواً بحيث يكاد أن يخنق الله فيه . هذا الإنسان موجود ومن الممكن أن يستعمل كل شيء ، حتى الله نفسه ليقتل الله في نفسه وفي الآخرين . هذه هي مفارقة للوهلة الأولى . ولكن قتل الله أعظم لذة ، إنها لذة الشيطان . هذا الإنسان آثم من الطراز الأول ، روعة في المعصية كرؤوس الجن المنحوتة الناتئة من كليات أوكسفورد .

الدنيا عالم الجن . المهم ألاّ تكون بيننا وبينهم مصاهرة ، أن

نحفظ أنفسنا في الصفاء . أنا أعلم أن متابعة الشهادة لطهارة الأطفال ، لبساطة المسيح أمر مضنك حتى تنصبّ من جباهنا قطرات الدم . العيش الرغيد اليسير لم تبق له زاوية يُعاش فيها . هذا العالم كله تحت الشرير ، كما يقول يوحنا . ولكن لا بدّ من الشهادة حتى لا تيأس هذه القلة العزيزة من المجاهدين . المسوخ ليسوا برهاناً على شيء . الشر لا يعني إلاّ الكمّية . **الذين غلبوا في أنفسهم الشر الطاغي ، الذين ارتضوا أن ينسلخوا عن « الأهواء والشهوات » هؤلاء وحدهم معنى العالم ولا يحتاجون إلى شهادة أحد** . نور على نور كل كيانهم .

تجربة الأنقياء أن يؤمنوا بفاعلية خارج نقاوتهم ، بفاعلية حقٍ تغيّر الإنسان صميمياً . تجربتهم بعض الإنزلاق ، شيء من الالتواء أو المساومة . القداسة ليست فن الممكن ، إنها فن المستحيل . هي صناعة الوجود الناطق بوجوده . ترجو أن يكون ما لم يكن ، أن تتحقق وعود الله . وإذا كان الأشرار يفسدون إيمان الناس بالله ويحجبون وجهه فالطاهرون هم وجه الله إلى الدنيا وكلمته وذكره .

الأنقياء ينقذوننا من المساخر ، يضطروننا إلى نزع الأقنعة . إنهم هم الحقيقة المتجلّية . ولذلك ليس من المهم أن تكون المؤسسة الدينية ، الأجهزة الدينية هاجسنا حتى حدّ الفاجعة . لا بد من إصلاح الأشياء القائمة والأشخاص المسؤولين . هذا أمر لا يستطيع

من يؤمن بالتاريخ أن يغضّ النظر عنه . ولكن الأهم أن نتبينّ سبل الله ونستلهم من يتكلم الله على ألسنتهم بحريته . أين صوت الله وما هي لهجته ، هذا هو المهم . هذا ما نسعى إليه لئلاّ ترعبنا المسوخ .

الأحد ١٢ ايار ١٩٦٨



تفاؤل أم تشاؤم ؟

من تجارب الباذلين أن من تُعطيه قد يلعنك والقلب الذي تنفتح إليه قد ينغلق . العطاء ، في كل وجوهه ، لا يقابله الأخذ دوماً . وليس للزارع وعد حصاد . فقد يحصد آخر أو يسقط بعض الزرع على الطريق أو في أماكن محجرة أو يخنقه الشوك . مأساة المُعطي أنه لا يعرف شيئاً عن مصير الكلمة ومع ذلك ينبغي أن يستمر في السخاء . من بعيد ينظر إلى أرض الميعاد . كموسى يموت وحده على الجبل . **تبرير حياته ليس في أن أحداً يتقبل الرسالة بل كونه قد دخل هو في سرّ الطاعة** . قد تبقى نفوس كثيرة قاحلة . عزاؤه فقط في طاعته ، في شراكته مع الواحد العظيم الذي هو وحده الجنة والماء في صحراء الوجود .

ولكن بادية النفس يحوّلها الرب إلى روض ظليل . واحتها في ذاتها . من البادية نفسها تتفجّر الينابيع فيزهو الرسول ويفرح « فلا تكلّ عيناه ولا تذهب نضارته » (تثنية ٣٤ : ٧) . والبهاء يأتيه من الرب الذي عرفه وجهاً لوجه كالنبي في سيناء . تعزيتنا ، أساساً ، بمن أرسلنا لا بمن نُرسل إليه .

هذا هو الصبر الخلاّق . فإن مصدره ليس الجهد الذي نقوم به

بل هذا الإله الذي يمدنا به . قد لا يثمر الجهد في الآخرين . ولكنه بالضرورة مثمر فينا . إنه يحوّل المعطي إذ يجعله مصغياً إلى ربه ودؤوباً على المحبة . يعرف أن الكلمة لا تعود فارغة ولكنه لا يعرف أين تستقر . بالأقل تلازمه هو وتهديه من حيث شاء أن يهدي غيره . الواعظ يتكلم ليكون أوّل المتّعظين . حدّة تعليمه تجعله شاهداً قد يصبح شاهداً حيّاً ، بلا كلمة ينطق بها . ولكن « الأفضل أن يصمت المرء وأن يكون بدل أن يتكلم وألا يكون»(إغناطيوس الانطاكي) .

الإنسان الروحي لا يستطيع أن يؤكّد أن التغيير الأساسي حاصل في الإنسانية . إنه يرجو أن يغيّر الله كل شيء . يعمل وهو ، بين يدي الله ، أداه . ولكنه لا يؤكّد أن الأداة صالحة . الإنسان الروحي لا يسعى إلى نتيجة يراها . **ليس هو تفاؤلياً بمعنى أنه لا يتوقع صلاحاً مطرداً في الإنسانية** . قد تصير البشرية إلى أسوأ مما هي عليه . قد يرتدّ هذا الإنسان أو ذاك . ليس ما يضمن أن من نحب سيكونون إلى أفضل . الإنسان الروحي لا يؤمن بتقدّمية أخلاقيّة . العلم والمعرفة يتقدّمان لأنهما يقومان على التراكم . جيل ينمو بهما بعد جيل . ولكن ما هو للروح دائماً شخصي ، دائماً خلق جديد . السقطات تلي التطلعات ، وزخم الشرور قد يتفاقم في نفس عرفت البهاء العظيم .

وإذا كان الروحي غير متفائل فليس هو بمتشائم أيضاً فإن شيئاً لا يؤكّد أن الإنسانية ، جملة ، ستنحطّ أو أن هذا أو ذاك سينحدران . رغبتنا في الأفضل لا تأتي بالأفضل . التفاؤل والتشاؤم **كلاهما من الخيال** ، من المزاج . من كانت ألحاظه مسمّرة على الرجاء ، ليس

بمتفائل ولا متشائم . **الصبر المأساوي ليس من الخيال ولا المزاج** . إنه موقف **إيماني** . « الزارع يزرع على الرجاء » . هذا الـزرع لا بدّ أن يتقبّله أحد في ملكوت الله . اليد التي رمته ، بالأقل ، ترتفع بالشكر .

الأحد ٨ ايلول ١٩٦٨



نهار وليل

« **وقضى يسوع الليل كله في الصلاة** » . جوهرياً ، الصلاة نابعة من جوف الليل ، من الملل والجراح ، من القوى الخائرة . « **يا معلِّم قد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئاً** » . الدنيا هي ذلك التعب الطويل ، الرتيب ، جعبة العيوب الظاهرة والخفيّة التي تعاود فتضعنا أمام حدود اليأس . تحمل جيفة يكشف لنا النضوج أنها ههنا ، إن النتانة المعشِّشة تلازم هذا العيش الذي تجترّ.

في صميم هذا الديجور يشرق التوسّل وتنسكب النفس تواضعاً أمام ربها عارية مستغفرة . وجمالها في أنها لا تثق بجمالها ولكنّها تفرح لهذه الحلّة التي خلعها الله عليها بهاء يعبِّر أو يطول ويقينها أن هذا كله إنعام ورحمة .

النفس تدعو « **في أوان الضيق لئلاّ تدركها مياه الطوفان الكثيرة** » وهي مطمئنة إلى أنها تقتحم أعماقها لكي لا تخرج الأعماق دنساً من بعد ، وكأنها في ذلك تقرع على أبواب المستحيل . ترجو بالرغم من الماضي ، من النكسات المألوفة حتى اللحظة الأخيرة بغية سلام يبدو كالسراب .

ولكن واحداً تكلم : « **اسهروا وصلّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة** » . وقضى هو الليل كله في جهاد التضرع لئلاّ تبقى في دواخلنا ظلمات .

شهادة هي إرادة الأدعية الموصولة ، شهادة على أننا نأخذ بعين الجدّ حدود الإنسان وهزالته . نحن إذن نرى الإنسان كما هو ، نعرف مأساته . المغامرة البشرية لا بدّ منها . نحن مرميون فيها . ولكننا نؤمن قبل كل شيء بمغامرة الله ، بإرادته على الإقبال إلينا وانحداره إلى مستوى المأساة التي نعاني .

الصلاة ، من هذا القبيل ، تنطلق من هذه الواقعية الكبرى ، الصارخة ، من رؤية العجز البشري . ولكنها لا تسلِّم بأنه نهائي إذا واحد أتاه من فوق . تؤمن بشفاء . المصلّي يقول : **ها طريق الحياة أمامي . أنا وحدي لا أستطيع سلوكها . أدعو ليكون لي عليها رفيق ، لئلاّ أضلّ أو تلسعني الحيّات . أنا لست جبّاراً ولا بطلاً . أنا لا أذلّ نفسي لأكون تراباً . هذه الترابية إنما أنا خبرتها . أعرضها هنا في كل يوم . ولكن الطريق تتطلب ألاّ يتكسّر الخزف دوماً ، أن يلملمه رفيق لي لا ينكسر ويضع في هذا الطين نفحة تحرِّكه.**

وإذا قبلت مرافقة الله لي على دروب الوجود ، لا بدّ أن يتجلّى لي ربّاً فاعلاً ، منقذاً ويصبح في داخلي حاجة ملحّة بحيث أحيا في هذا

الحوار وألقى نفسي بعد ضياع . مقبول أنا إذن الآن حتى يتمّ الرضى الأبدي ، حتى تمسح من عيني كل دمعة في ذلك اليوم الذي أكون قد أكملت فيه الشوط .

الأحد ٢٩ ايلـول ١٩٦٨



ندم أم تحوّل ؟

النفسُ إذا عَصَتْ تتأسف أو تهتدي . تتذكر الذنب لتندم وتنضغط ، لتحزن عليه وتنكفىء أو تمتد إلى البركات المرجوة ، إلى الله الآتي إليها بفرحه وسكينته . النجاة في هذا الامتداد ، في تقبل النعمة المعطاة وتكسبها حتى منتهى طاقاتها لا في العودة إلى ماض انقضى ويجب ألاّ يستيقظ .

كل رحلة إلى المؤسفات من شأنها أن تستعيد المؤسفات لأن التذكّر نوع من التلذذ . الندم استظهار للخطيئة تسرح وتمرح من جديد ، عودة خبيثة لها . الندم حنين كأن الذنب هو الشيء الذي يجب أن نألف ، كأننا نخشى ضياعه . الذاكرة مجنونة مؤذية . تهاجم الكائن الجديد الذي نحاول أن نكونه ، تمزّقه فيما يحاول الوثوب .

أَجلُّ لحظة من لحظات التوبة هو الإدراك . **ولكن الإدراك ليس تجريماً للنفس أمام جبروتها المفترض بل تأثيم أمام الله** . الاستفظاع ليس في أن هذه العظيمة قد سقطت فالجبابرة دائماً يسقطون ولكننا نستعظم الإثم لأنه « تعدّي الوصية » . لأننا تجاوزنا كلمة ، الله تفوه

بها . مجد الله فينا ، بهاؤه لم نأبه به . تطلعنا إلى لذة عابرة ومجد زائل ، نبعا من أسافل الوجود فكانت غفلة وسكرة . كانت الخطيئة في أننا آثرنا ما ظنناه الإنسان ، ما حسبناه الطبيعة على ذاك الذي هو نموذج الإنسان وقلب الطبيعة .

لا ريب في أن امتحان القلب كما تسمّيه الكنيسة الشرقية مرحلة مهمة جداً ولكنها مرحلة في التحوّل عن الخطيئة لا في التحوّل إليها . فالإمتحان شيء والغلو في التحليل شيء آخر . الخاطىء ليس ، أساساً ، دارساً لنفسه ، وقلبه ليس مكشوفاً له . المسؤولية، الله وحده مدركها . فإن الإفراط في التحليل قد يعني البحث عن مسؤولية جعلها الله في نطاق دينونته وهو وحده يعرف من منا مزكى . امتحان القلب غايته معرفة الهوى الذي يتحكم في النفس ، بغية اقتلاع الهوى . فما الذنب سوى مظهر من مظاهر الأهواء . والجذور هي التي يجب قطعها .

ولكن بعد أن نتبيّن المعصية وأصولها لا نبقى عندها وعند الأصول لنتبكى ونستطيب النحيب فإن في ذلك استلذاذاً للنفس وظلماتها . ما يهمنا ليست البشاعة التي يكشفها لنا النور . ما همنا والقباحات . المهم هذا النور الذي أتى . معه كل شيء صار منسياً . لا ينبغي أن نسعى إلى النفس لئلاّ تهلك . السعي هو إلى الله الذي لا يفنى وجهه . التوبة ليست توبة إلى الذات بل إلى ذاك الذي يفوق كل ذات ومن منّه نستمد الوجود .

رؤيته تحوّلنا إليه وهذا هو أصل التغيير فينا . فعلى قدر تطلعاتنا

إليه نتأدّب بأدبه ونتربّى على خشيته ومحبته وينسكب فينا روحه فإذا به ضيف النفس الأليف الذي يطرد الذنب إذا قرع البـاب وإذا بالـذي أدرك حلاوة ربّه لا يسقط في معصية ليلازمها . يكون فقط قد عثر في دوام توثبات .

الأحد ١ كانون الأول ١٩٦٨



الكنيسة الجميلة القبيحة

« ليس في العالم سوى وجه واحد جميل مطلقاً وهو المسيح »
دوستويفسكي

قبل المسيح كان الجمال في السماء . كذا علَّم أفلاطون . بتجسّد الكلمة أعلن التلاميذ أنهم رأوا على الأرض مجداً ، أنهم عاينوا الجلال على جبل التجلّي . ومنذئذ نلحّ في طلب الكمال من الكيان الإنساني . فقد جاء المسيح لا ليعبر النور إلى العالم عبوراً بل ليستقر فيه ، لتتربّع السماء هنا على الأرض . وبعد أن آمنا أننا هالكون إذا حِدْنا عن المسيح قيد أنملة لا نستطيع أن نتعزّى عنه بشيء آخر .

وإذا كان كل ما عدا وجهه قبيحاً لا يمكن أن يكون موقفنا في الوجود سوى أن نتغيّر ليتغيّر الوجود بنا . الصبر في هذا الموقف مجرّد بداءة . آخر المطاف هو تعميد العالم بنور . فقد كان التجلّي على الجبل ليتجلّى الكون بأسره . ونحن إنما نصبر على اجتماع الحنطة والزؤان في حقل واحد لإيماننا بأن يوم الحصاد آت حيث تجمع الحنطة وحدها في الأهراء . وإن الحرب لدائرة رحاها حتى تظل الكلمة في دوام الإنطلاق ليحيا بها الموتى .

وفيما الحرب تدور لا بدّ لبعض من أن يرمي سلاحه وأن يقول : « أي فائدة للبشر من جميع تعبهم الذي يعانونه تحت الشمس . . . ما كان فهو الذي سيكون وما صُنع فهو الذي سيُصنع » . **السأم وكآبة الروح ورؤية الجبابرة أنفسهم يتساقطون ، كل ذلك يجعلك تطوي القتال وتتنهد تنهد من بلغ الراحة بعد جهد وفي نفسك شيء من ملل وعلى فمك ابتسامة من سخر من المجاهدين** . فقد اخترت لنفسك حكمة وأنت من شأن الدنيا ضليع فقد جرحتك الدنيا لما كنت تجابه إذّاك الأشرار . قلت : كفاني ارتطاماً بالصخر . إني آوي إلى حيث لا أنزف . فإن تواريت أو خضت المعركة فالعالم كله ملوّث وما أوتيت قدرة إله .

وإذا كنت على شيء من الاهتمام بالكنيسة لا بد أن تقول أيضاً قولاً كهذا : الكنيسة في العالم وهي بالتالي بعض منه إذا شاءت لنفسها الحياة . فلتشاكله لتحفظ نفسها فيه أي إنه لا بد لها من الصمت حيناً والمجاملة حيناً آخر . وهذا كله في نظرك حسن رعاية أو حسن تدبير إذ المهم أن تبقى الكنيسة في التاريخ . وفي فهمك أن الكنيسة التي ضحّى المسيح بنفسه من أجلها ليقدّسها ويطهّرها بالماء والكلمة ليجعلها مقدّسة بلا عيب إنما هي كنيسة نتغنّى بها تغنّياً وليس لها أن توجد هنا . إنك تحيا وكأن الكنيسة كنيستان واحدة للأرض نقبلها كما نستطيع أي نضع في القدر شيئاً من الطقوس وشيئاً من الطلاق وشيئاً من السياسة لنكون على مستوى الأحداث لأنه أهم ما في الوجود ألاّ يعوزنا ذلك الدهاء الذي نقيس به أنفسنا بأذكياء الدهر الحاضر .

أجل ، القديس وحيد في هذا العالم . ونحن لا نرى أنه يمسّ التاريخ وبالتالي إنه يغيِّر التاريخ . مع ذلك قيل قديماً : « ترسل روحك فيُخلقون وتجدِّد وجه الأرض » . **القديس يعتقد أنه وحده يغيّر هذا الكون باستقلاله عنه ولأنه يحضن هذا الكون بالروح** . الدنيا تبدلها النفحات . القديس يؤمن أن ما يحرِّك الدنيا ليس منها وأن كل قوة منها تؤول إليها وتفنى بها ولذا يرفض حكمة الحكماء ويحمق فهم الفهماء . لا يقبل أن تكون الكنيسة مزدوجة المعنى . لا يقبل أن تكون هناك طائفة بشرية تتلوّن بألوان البيئة وتخنع للعظماء وأن تكون في الآخرة فقط مجيدة لا عيب فيها . **التجلّي هنا حدث وهنا يجب أن يستمر** .

الكنيسة مقدّسة هنا لا هناك وحسب . إنها تصبر على الزؤان فالقديسون واقعيون أبداً . إنما ترجو إذا صبرت . ترى ولا توافق . لا تشاكل الدهر الحاضر ولا تقلّد فطنته . إن لها عقل الله وتتخذ الموقف الذي تمليه عليها الكلمة الأبدية والروح إذا هبّ فيها . والكلمة منتصبة سيفاً ذا حدّين لكي تضربنا إذا تقاذفتنا أمواج المذهب الدنيوي وعبثت بنا الريح . الكلمة معنا إلى الأبد نجسّمها ونصبح بهاء الله في الكون ، « الإنسان الكامل » الذى يلتحم وجهه ووجه المخلّص في جلال أبدي .

بعد أن عاين التلاميذ جماله المطلق على الجبل لم يبق من الممكن أن نعود إلى أفلاطون ، أن نلتمس الجمال في الفكر ، في نطاق اللا

مدرك . بات من المستحيل علينا أن نرجىء التماس الحقيقة ، أن نرتضي زماناً لنا وجيزاً ليس لها فيه متجلّى . الجمال عندنا ليس مثالاً يعلو ويتوغّل بالتعالي ولكنا نريده دائماً معنا هنا في الجسد . **فقد طرح الله** ملكوته فيما بيننا لنبقى قلقين حتى يحل ، كي نجوع أبداً إليه ، **فإمّا أن يكون وجه المسيح دوماً إلينا وبه نحيا أو هو قد ولىّ إلى الأبد** . بلا هذا المسيح المقيم لا معنى لأي شيء في الوجود فإن من ذاق العيش حتى المنتهى بلا مسيح يذوق فيه المرارة أو كآبة الروح . من هذه الأعماق الحزينة يصرخ الإنسان الذي لم يعثر عن السيد بديلاً . هذا الإنسان الذي أقلع عن سيرته الأولى وتجدّد روحه وذهنه كيف يحيا غير متصل بهذه الرؤية التي رأى وهي الجمال والتوق إلى الجمال بآن معاً ؟

وكل ما عدا هذه الرؤية قباحة أو تفاهة وإتلاف وجود . فقد غدا الجديد تحت الشمس لما جاء كلمة الحق . وإذا الدنيا كلها نفع ولا باطل فيها أو إذا لم نركن إلى الباطل فيها شددناه إلى الحقيقة الصامدة في بهائها . والكنيسة هي هذا العزوف عن الباطل والاعتصام بالخالدات ، هي أن ترضى البقاء وحدك لتصبح قادراً على محبة الكل . **نعم ، الكنيسة تاريخ يمتد ولكنه امتداد المسيح لا ذكاء الناس** . « بالأمس كنتم ظلاماً ، وأنتم اليوم نور في الرب . فسيروا سيرة أبناء النور ، فإن ثمر النور يكون في كل صلاح وبر وحق . فتبيّنوا ما يرضي الرب ولا تشاركوا في أعمال الظلام العقيمة . . . دعوا الروح يملأكم » .

الكنيسة النـي تعي هذا الكلام تخلق التاريخ في متجلّيات

الأزل . الكنيسة ليست أرجوحة أهوائنا إن كانت حقاً مقراً للإله الذي لا يساوم ولا يحابي . الكنيسة ليست غافلة عندما تحيا بطهارة ربها وإلهامات الروح .

الأحد ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٠